بين الأمس .. واليوم .. والغد

ريم أبو الفضل

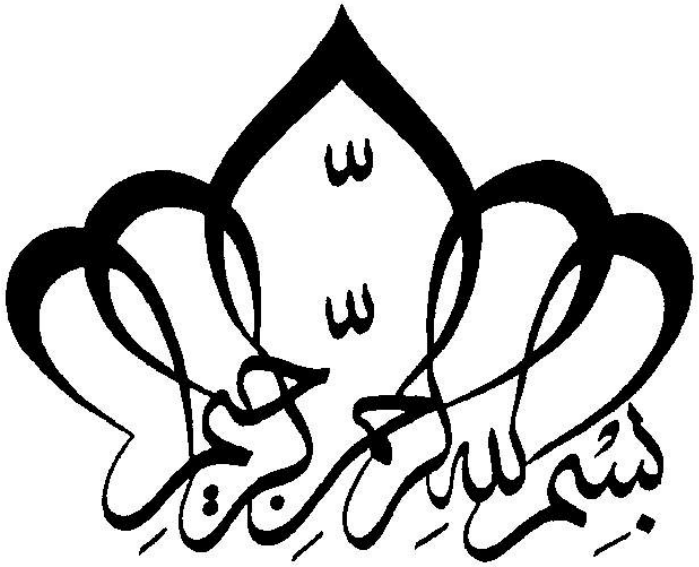
بسم الله الرحمن الرحیم

بين الأمس .. واليوم .. والغد

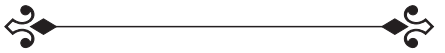

قلمى هو حُلمى ..يكتب للغد...

وهو ذاكرتى... فأحيانا يحّن للأمس... وحيناً ينعاه..

وهو يومى أخطو فيه.... وأخط به

ومن هنا كان هذا الكتاب حصادا لبعض ما خطه قلمى ..

بين الأمس... واليوم... والغد

إهداء

إلى كل من عاش الأمس بأفراحه وأتراحه...

إلى كل من يعيش اليوم بآماله وآلامه...

إلى كل من يحلم بالغد صحوةً وغفوة...

إلى نفسى..وإليكَ..وإلى الغائب

ريم

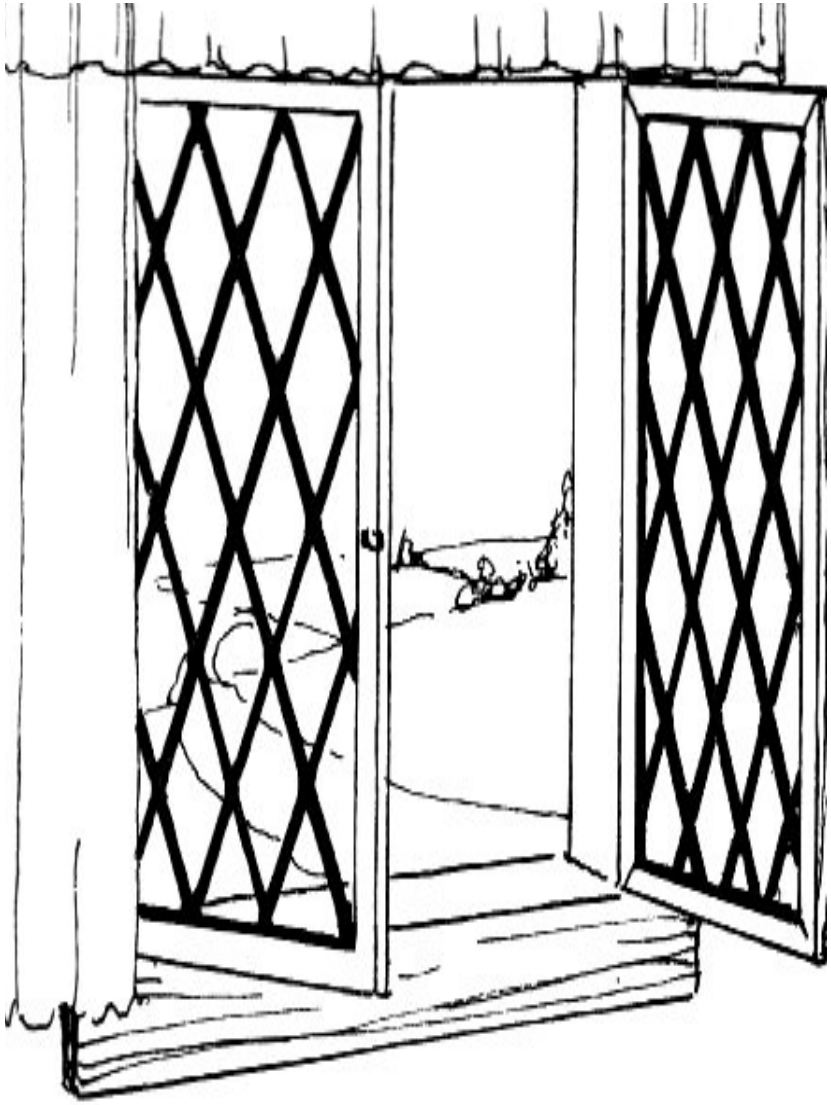

شرفتى ..وزائر الفجر (١-٢)

غالبا....أصلى فجرى قبل نومى ؛ لأننى من الأشخاص الذين لا يستغرقون بسهولة فى نومهم..فكان ذلك عهدهم

وإن نمت قبل الفجر ثم استيقظت للصلاة..فمن المستحيل أن يعود النوم لجفونى بعد أن غادرها..

قبل أن أتوسد فراشى لابد أن أُخرج من غرفتى ساعة الحائط رغم أنها لا تدق، فلا أستطيع النوم من صوت عقاربها الرتيب..ولم تناسبنى الرقمية لإضاءتها

أطفئ الأنوار كلها ..أغلق الباب فلابد أن يجتمع ثلاثية الهدوء، والظلام، والتوحد

إنهما ساعتان قبل الصباح ،لليوم زاد ، وللعمل عتاد

أقسم على النوم أن يأتى سريعا ..أغلق جفونى ..أعد من واحد إلى عشرة...قد أتجاوز المئة

وهاهو بدأ يتهادى...غفوة..وسن..ثم.....

انتفض فجأة لصوته..

ألعنه فى صمت..يتمادى
أتمتم بغضب..يتعالى..
أعلن غضبى.. بعد أن فرّ نومى

هل أهدم شرفتى التى استّحل الوقوف عليها..أم أرحل وأترك له الشرفة بملحقاتها؟ أم أضع له كميناً وعندئذ ...

سيناريو شبه يومىّ يتكرر

لم يعدل هو عن فعلته..ولم أتأقلم أنا مع زيارته

أفقد صوابى فى الصباح قد أرد على هاتفى فى حِدة ..أصيح فى وجه الجميع..أتأخر عن موعدى..يتملكنى الصداع طيلة اليوم.. لم أنفذ إلا القليل من برامج أجندتى

أُرجع كل ذلك- للعصفور- الذى يتعمدنى بالقلق، ويتوعدنى بالاستمرار

أصب عليه جامَ غضبى طيلة اليوم...أكيل له اللعنات..أتمنى له الرحيل أو.. الموت

أنتظره أحيانا حتى يفرغ من أُنشودته، أو هكذا يتصورها، ثم أخلد للنوم، وسرعان ما أستيقظ قبل ساعة على دقات المحمول

أظل طيلة اليوم أكيل له لعناتي..وأُرجع إخفاقى فى أى شىء له ..

وجاء يوم انتهيت سريعاً من طقوسى ،وأسلمت رأسى لوسادتى لأنام.. فلم يأتني النوم

..فانتظرته حتى يفرغ من إنشودته فلم يأت ..وعلا رنين الخلوىّ .. وأنا أنتظره، ولم يأت

ظللت طيلة اليوم أتساءل لماذا لم يأت، وتكرر الحال فى اليوم التالى فلم يأت هو..ولم يأت نومى سريعا كما كنت أتوقع

وأتى الصباح .. وكنت أشد توترا من ذى قبل، فالقلق لم يختف، بل بتُّ أفكر لماذا لم يأت العصفور!

ربما غيّر وعده.. ويأتينى وقتا آخر ليقلق نومى

وأتى الغد وبعد الغد.. وانتظرته فلم يأت

وبات تفكيرى ساخراً لى إلى حد ما

أى عصفور هذا الذى أفكر فيه؟
ألم يكن يؤرقنى، وكنت أكرهه؟
ألم أتّمن أن يذهب بلا رجعة؟

وغاب العصفور.....

ولم يغب القلق..وكأنهما اتفقا على أن يغادرانى معا « النوم والعصفور»

بل صرتُ أغفو قرابة الصبح، وكثيرا ما أتأخر عن موعدى
وكأن هذا العصفوركان ينبهنى ألا أغفو
وكأنه يُحيينى تحية الصباح بأنشودته التى لم أرها هكذا
وكأنه يُعلن لى صباح جديد ، ويستنهضنى ليومٍ حافلٍ بالعمل ..مع صوته المفعم بالأمل

وبعدما تفكرت فى هذه الفترة الذى كان يغرد فيها العصفور..... وجدت أننى كنت فى نعمة... لم أرها هكذا

فهناك من يقلق من نومه بسبب ألمٍ يسببه له مرض عضال
وهناك من يفزع من هجوعه بسبب أمنٍ افتقده
وهناك من ينام بين القبور أو الزمور
وهناك من لا ينام لأنه يفتقد المأوى

لم تكن شكواى من العصفور مجرد تفاهة، بل رأيتها بعد ذلك بطراً

فاختيار العصفور لشرفتى كان منصة يُعلن حقه فى الحياة عليها ، ويُعلمنى بالحياة التى قد يكون صوته أحد معالمها

كما وجدت أننا لابد أن نتقبل أى صنيع يفعله الآخرون معنا، ونشكرهم

فقد يبذلون أقصى ما عندهم، فى حين أننا نرى صنيعهم تطفلا أو إزعاجا

فقد ظن العصفور الأعجم أنه يؤدى لى خدمة ،وكانت أقصى ما لديه.. بينما كنت ألعنه

كانت تجربة العصفور تجربة ساخرة بسيطة ، ولكنها علمتنى الكثير

علمتنى ..أن أشكر وأمتن لكل من قدم لى شيئا... حتى ولو كانت مكالمة فى منتصف الليل توقظنى من نومى

علمتنى.. أن أرى ما يقدمه لى الآخرون على أنه أقصى ما يمكن تقديمه ، حتى ولو أنا لست بحاجة له... فهذا ما لديهم

علمتنى.. أن كل ميسر لما خلق له، فلا تحقر من عمل بسيط لشخص يسعد به، ويرى أنه يقدم شيئا عظيماً

علمتنى.. أننى ربما أكون اليوم فى نعمة لا أفطن لها إلا بعد زوالها ..وقد يكون مؤرق اليوم هو ذكرى الغد

علمتنى.. أن النعمة قد ترتدى رداءً لا يظهر محاسنها ، والبصر لا يرى إلا الخارج ،أما الباطن فقد يحتاج للبصيرة

لا تنزعج من طفلك الذى يبكى
ولا تتأفف من مهمومٍ يشكى
لا تتململ من جارك الذى يثرثر
ولا تتألم من أبٍ ينهر وأم تزجر
لا تحزن من صديقٍ عنك مشغول
أو تهمل عملا لم يلق لديك قبول

فكلٌ منها «عصفور» يغرد على شرفتك...ستنزعج أكثر عندما يختفى أحدهم

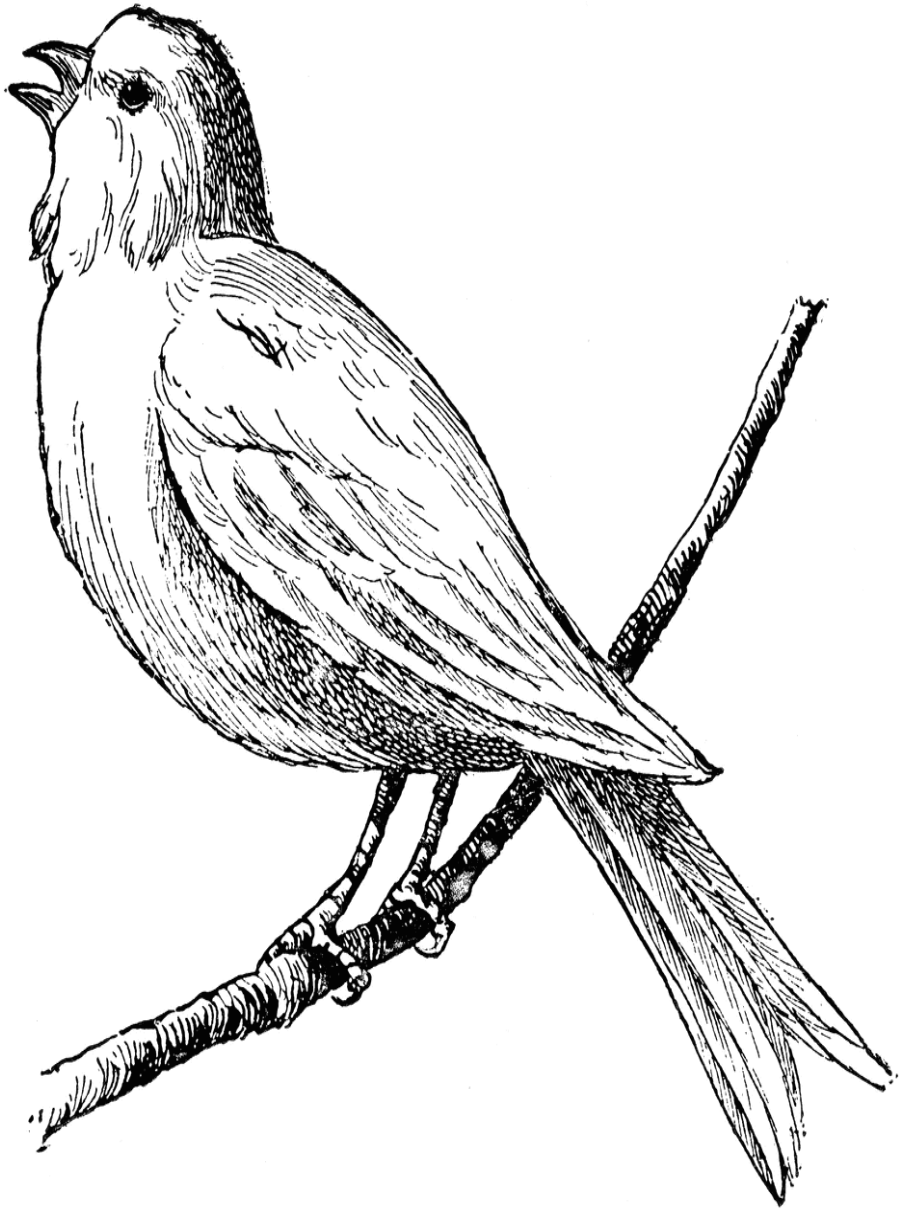

تغريدتى والشرفة(٢-٢)

وقف العصفورعلى شرفتها فى انتظار تباشير الفجر
فتذّكر قصة روتها له أمه ذات يوم من الأثر، وقد ترجمها سيدنا سليمان للبشر..
فعندما كان يسير مع قومٍ سمع أربعة من الطيور فى حوارٍ يدور

قال الأول : ليت الخلق لم يخلقوا
وقال الثانى: ويالليتهم لمّا خُلقوا علموا لماذا خُلقوا
وقال الثالث: ويالليتهم لمّا علِموا لماذا خُلقوا عملوا بما علموا
وقال الرابع : وليتهم لمّا عملوا بما علموا أخلصوا فيما عملوا

تذكرت قصة أجدادى وأقوالهم أثناء وقوفى على تلك الشرفة فى انتظار تباشير الفجر.. فلا أَمَل من انتظارى، ولا يغادرنى الصبر كنت أسترق السمعَ على الشرفة، فأجدها تبتهل إلى الله، وتشكو إليه همها، وتتوسل إليه أن يرفع عنها البلاء ..
فلا أملكُ إلا أن أؤمن على دعواتها..وأنتظر الفجر لأُدخل على نفسها الأمل بتغريدى
ولكن سرعان ما تهرع إلى فراشها بعدما تفرغ من صلاة الفجر
وكنت أتساءل كل ليلة..
لماذا لا تلجأ إلى الله إلا عند الشكوى؟
ألم تعلم لِمَ خُلقت؟؟
أليست الدنيا دار بلاء وامتحان ..وعليها أن تصبر على البلاء، وتجتاز الامتحانات
أعتقد أنها علِمت لِمَ خُلقت .. لكنها لم تعمل بما علِمت!!
ربما لم تُخلص العمل!!

فالإخلاص يكون فى صمتٍ وشكر وإيمان...والعمل يكون فى حب وتفان

كيف للعبد أن يسألَ الرب؟ ويراجعه ويسأله غده؟
ألا تعلم أننا نغدو خماصاً، ونعود بطاناً !!
لا ننام عند الفجر.. بل نصحو مع تباشيره
لا نطلب من الله أن يأتينا برزقنا على ضعفنا فى أعشاشنا
بل نقوم فجرنا...فنشكر ربنا.. ونسأله القوة لسعينا ..ورزقنا
ومع ذلك نغنى للحياة..فنملأ الكون تغريدا ونحن نبحث عن قوتنا
لا نتبرم ولا نيأس...
شرعتُ فى تغريدتى..فسمعتُ تأففها..اخترت لها أنشودة أخرى تعالت لعناتها..
كررتُ فعلتى كل يوم..لأسرّى عنها..وفى كل يوم كان يزداد عجبى

تعجبت لهؤلاء البشرعندما يخلدون الى نومهم بعد فجرهم..فمتى سيبحثون عن رزقهم؟

تعجبت من تأففهم مما تطرب له النفس..فيعدونه مقلقاً منفراً ثم يلجأون إلى سماع ما صنعوه من آلاتٍ مُعرضين عما صنعه الله من مخلوقات تغرد

تعجبت من أن صوتى قد لا يُطرب البعض، وقد يُزعج الآخرين

تعجبت من أشياءٍ كثيرة ..وكدت أنعتُ هؤلاء البشر بالسفه وقصر النظر..ولكننى تذكرت سليمان الحكيم فبتُ أنظر إلى عجبى بقدرٍ من العبر

فتحولت نظرتى مما كنت منه تعجبت.. إلى ما منه تعلمت

فتعلمتُ ألا أكرر النصح، ولا أكون لحوحاً حتى وإن كان صوتى تغريدا فقد يسمعه الآخرون نعيقاً

تعلمتُ أن هناك ظروفًا تجعل من لا يرى فى تباشير الفجر الأمل بل قد تتجدد الأحزان مع كل إشراقة

تعلمتُ أن نضع الإنسان فى ظروفٍ طبيعية حتى نتقبل ما يصدر عنه، وحتى يكون حكمنا عليه عادلاً

تعجبتُ..فتأملتُ..فتعلمتُ أن ربما هذا الشخص الذى يصيح فى الهاتف أو فى وجه آخر لا نعلم كيف بات ليلته قد يكون فى مناجاة مع ربه يبثه هماً لا يعلم الآخر عنه شيئاً

تعلمتُ أن هناك أشخاصاً يبدون أقوياء ونظنهم كذلك قد تكون أفئدتهم أكثر رقة من أفئدتنا ..ولكن طبيعة حياة البشر تجبرهم أن يظهرون بمظهر القوة ..
فقد يكون بين عالم البشر ..ذئب.. وراعٍ.. وحّمل

فقررت الرحيل عن شرفتها على غير أمل.....

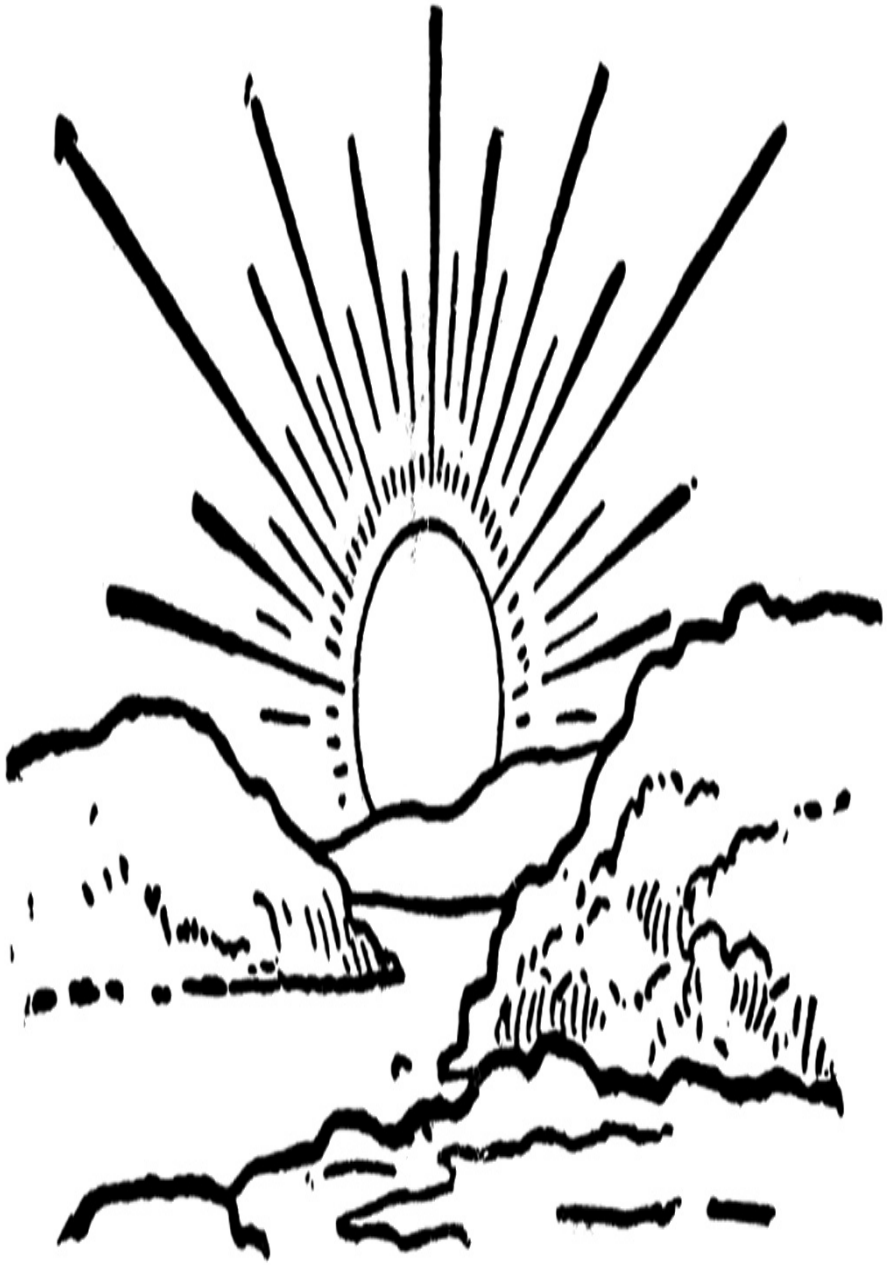

بين الأمسِ ..واليومِ ..والغد

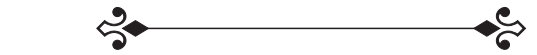

لو عاد بى اليوم للأمس
لعانقتُ القمر، وقبّلتُ الشمس
لو عاد بى اليوم للأمس
لسقيت الأمل، وقتلت اليأس
لو عاد بى اليوم للأمس
لملئت نهرا من فيض كأس
لو عاد بى اليوم للأمس
لربطتُ على قلبى ليصير شديد البأس

إنه الأمس...

بإشراقه.. يغزل اليوم من خيوط شمسه ثوباً للغد..
بغروبه الهامس.. يسدل ستائره ليشرق اليوم..

كثيرا ما نفكر فى الأمس... يستغرق وقتنا ، ونستغرق فيه..نتمنى عودته، أو نعود إليه

ليس بالضرورة لأنه كان أفضل ..بل قد يكون أقسى.... لكنها الرغبة فى تغييره ؛ ليتغير بالتبعية اليوم

فنجد أنفسنا كثيرا ما نحلق فى أزمنة الماضى..نعلق عليها آمال وآلام الحاضر..متناسين أن هناك مستقبل يحتاج لشحذ الهمم ،واعتلاء القمم

لا أعتب على اليوم، ولا ألوم الحاضر، ولا أعيش أحلام يقظة فى الماضى
لا أفتح ب»لو للشيطان باباً ليعمل، ولا أغلق باباً لآخر منه قد نفعل
لا أدّعى أننى سأجعل النهار امتدادا لأمس كان جميلا
ولا أُوقن أننى سأكشف ليلا كان ثقيلاً

ولكن....
ربما المحن تعلمنى ..و التجارب تثقلنى
فاستقى الحكمة من الخبرة...و ازداد من الشدائد عظةً وعبرة

إنها الأمنية التى تراود كثيرا من الشيوخ..وبعضا من النساء ..وقلة من الشباب
لكنها لم تراودنى لأقف عند مرحلة الصبا ...أو ألهو فى مرحلة الطفولة
بل تراودنى من أجل أن أحصل على يوم أجمل، وغد أفضل

ووجدتنى أسترسل فى الأمس ماذا سأفعل لو عاد اليوم للأمس

لوضعت كل من يخالفنى فى منطقة محايدة..ولا أكثرت معه حوارى فزدنا تباعدا

لتواصلت مع من يدعمنى..وتجاهلت من يطعننى

لحاولت أن أحقق حلما واحداً... بدلا من أن أستغرق فى أحلام عدة لم أستمر فى تحقيق أحدها للنهاية

لاحتفظت بمنطقة تقع تحت الظل لأضع فيها كل من لمستُ منه أذى أو علمت فيه عيباً ...بدلا من أضعه تحت الضوء فيتوحش آذاه، وينجلى عيبه

لكنت أعطيت لخصمى فرصة الانتصار..حتى لا أستعديه.. ولمحاورى فرصة الفوز حتى لا أُخزيه

إن نُوديت لبيت..وإن طُلبت استجبت
إن فزتَ شكرت..وإن هُزمت ابتسمت
إن عزمتَ توكلت... وإن توكلت أيقنت

ل ...وجهت سفينتى لتبحر نحو شاطئ آخر..

ولكن ها هى سفينتك لم تبلغ عرض البحر..وأنت الرُّبان تمسك بدفتها ؛ فتستطيع أن توجهها كيفما شئت

فإن كان الأمس قد فر، فاليوم يمر، والغد فى يدك

فها هو أمسى أكشفه أمامك ..حتى لا تركن ليومك ، ويُداهنك حاضرك ، فيداهمك غدك

فتتمنى أن يعود بك اليوم للأمس..ولن يعود

ربما سأكون أكثر جهلا ... وأكرر نفس أخطائى...فتجارب الآخرين أمامى، وكنت أظن أننى تجربة متفردة قد تهزم المستحيل الذى هزمهم

إنها خاطرة.. أو بمعنى أدق شاردة

ولو عدنا للوراء بكل خبراتنا ونضجنا فهل سنكون أسعد وأفضل؟
لا أدرى.....

لكننى وجدت نفسى مازلت أقول

لو عاد بى الزمن للوراء
لغزلتُ من خيوط الفجر رداء
لو عاد بى الزمن للوراء
لطاولت أحلامى عنان السماء
لو عاد بى الزمن للوراء
لبنيت من حصى الأرض سلماً وبناء
لو عاد بى الزمن للوراء
لأبحرت فى خضم اليّم بلا عناء

فأصل لشاطئ الحاضر..
بأمس قد حاولت أن أجعله أجمل...
لعل المستقبل يصير أفضل

ثمرة الرّمان

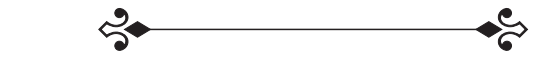

فى حديقة بيت جدى أختزل أجمل ذكريات طفولتى...

تحت شجرة الرمان العتيقة كانت أحلام طفولتى تتجسد فى اقتطاف ثمرة من ثمارها ، لا يهم أن تكون الثمرة ناضجة أم لا

المهم كنت أشعر بسعادة حين اقتنصها ملتهمة إياها.. مختبئة تحت ظلال الشجرة..

غير عابئة بنصائح أمى التى تحذرنى من أكل الرمان غير الناضج.. غير عابئة لملابسى التى تتناثر عليها علامات السعادة متمثلة فى بقع الرمان

كانت ثمرة الرمان لاذعة كالليّمون..حباتها لا تزال بيضاء كالثلج

لكننى كنت أراها حمراء كالياقوت...حلوة كالشهد

كنت أنتهى من التهام الثمرة..فالتفت إلى شجرة التوت فأجدها ضخمةً عملاقة بالنسبة لقامتى..أشعر وأنا تحتها بعظمتها..وضعف قوتى ؛ فأعزم على أمرٍ لو افتضح لتراجعت و..لكننى لم أتراجع

وسط تشجيع أولاد خالى.. أتسلق شجرة التوت، وألتهم بضع ثمرات، وأقذف لهم بأخريات

لم نكترث جميعاً لطعم هذه الثمرات التى لم تؤهلنى خبرتى لانتقاء الجيد منها..ولم نخش العقاب الذى سيلاحق المتسلق، والمشجع، بل والمتفرج...

وإن كان عاقبة الأمر ذات مرة «علقة» لجميع أولاد خالى من والدهم ؛ لتشجعيهم لى نالنى منها جزءًا بسيطا لأننى كنت ضيفة.. رغم استحقاقى للنصيب الأكبر..ولم يثنِنا هذا عن المرات التالية

تذكرت أيام طفولتى فى حديقة جدى التى شبهتها بمعترك الحياة لدى طفلة صغيرة..

ووجدت أننا كنا نمتلك شجاعة وعزم وإقدام ..لا نتحلى بهم اليوم رغم الخبرة، والوعى، والحرص الذى منحتهم لنا الحياة مقابل ما سلبته من التلقائية، والفطرة، والبراءة

فقد كان المقابل ليس بسيطاً...

فالحياة لن تعطيك خبرتها مجاناً .. كمان أن الشجرة لن تعطيك ثمارا بلا جهد

وجدت أن الحديقة ضمت كل نماذج الحياة المُحّرض، والناشط ، والمؤيد ، والمتفرج

بل و قانون الطوارئ الذى يصادر حرية طفلة فى مخاطرة تسلق الشجرة لإشباع نهمها فى ممارسة الحرية فى الحقيقة... وليس فى التهام ثمرة لم تنضج بعد

وجدت أننا بقلوبنا الغضة البريئة ..وعقولنا الصغيرة رضينا بما حصلنا عليه بعد عملٍ شاق حتى وإن بدا لا يستحق المغامرة ،والمخاطرة من قِبل منٍ يحكمون الحديقة

فالجد والعمل الذى كنا نخوض به عملنا الشاق فى الحديقة كان دافعه ثمرة نسعد بها ..

لكن أعتقد أن رغبتنا فى خوض تجربة الاختيار كانت هى المحرك.. ونجاحنا فى اجتياز مخاطر التجربة كان هو الدافع للاستمرار

فلم نكن ننتظر اختيار الكبار لفاكهة ناضجة يقدمونها لنا حتى وإن كانت لذيذة ، ولا نشعر بسعادة لذلك

ولكن التجربة بكل متاعبها ومخاطرها كانت تحقق لنا ذواتنا ..وتنفث عنا كبت حريتنا التى كنا نشعر به كأطفال محكومين من قِبل أسرهم يعيشون تحت مظلة قانون الطاعة

وجدت أن قلوبنا التى خلت من أى نكتٍ سوداء لم ترإلا كل جميل فى هذه التجربة

فقد رأت الرمان حلوا رغم كونه لاذعاً

ورأت التوت سهل المنال رغم مشقة الوصول إليه

رأت المخاطرة مغامرة لذيذة دون حساب لمخاطر وتحذيرات تحف بمستقبل المحيطين.. أقصد بالحديقة وأبنائها ..

فتجربة الحرية وممارستها تستحق كل ذلك.. وفى النهاية لن يأكل الرمان إلا من خاطر من أجله.. والتجربة تحتم علينا أن نلتقط الثمرة، ونتذوقها فربما كانت ناضجة؛ فنسعد ،أو لاذعة فلا نحزن

وكلاهما لا نعده فشلاً

رأت أن التهديدات أو القوانين لم تثنِنا عن طريقنا مهما كان العقاب مُشددا..

والحل أعتقد من وجهة نظرنا حينذاك أن نمارس حريتنا تحت أعين الجميع ورضاهم بدلا من ممارستها دون رضاهم ، ووسط عسكريتهم أو سلطتهم

لن يحد أى قانون من حرية يتشوق إليها طفل ..شبل ..شاب أو كهل

إن القلوب البريئة والنفوس البيضاء التى يحملها الصغار يمكنها أن تحتفظ ببياضها ونقائها ؛ فترى الأمل فى كل خطوة، وتستشعر السعادة فى كل لحظة لا تثنيها عوائق الحياة، ولا يدميها نوائب الدهر،
وصروف الزمن

إن عين الطفل ليست عين فى كل الأمور قاصرة..بل هى لبعضها باصرة...ونحن نظن أننا نرى أفضل وأشمل.. وهى نظرة لا تتغير من كل معيل أو ذى سلطة، أو صاحب قرار

لم يكن لدينا الصبر من وجهة نظر الكبار لأن ننتظر حتى تنضج الثمار..كما يفعل شبابنا اليوم فى تعجل قطف ثمار الحرية وسط نصائح الكبار بالتمهل والانتظار

كان وقتى فى حديقة جدى يعدونه لهوا..ولكنه فى أجندة طفل كان عملا

لم يكترث بأشواك فى الحديقة قد تجرحه...أو عثرات قد تكبحه..

ولكنها ممارسة الحياة التى قد تعطيك ثمرة حلوة أو لاذعة..
برغم مشقة الحصول عليها...فلا تندم لوقت أو جهد أفنيته

كما أن الرضا ، والجمال الداخلى الذى يحظى به كل طفل ويفتقده الكبار يجعلك لا ترى إلا المتعة فى العمل الشاق، ولا تشعر إلا بحلاوة فى كل ما تتذوقه، وكأن اللسان يصدق على ما قلبك من صفاء

ف الرضا الذى نستشعره ونحن نقشعر من طعم الرمان اللاذع، أو نتألم من جروح وخدوش جراء التسلق وخلافه، أو حتى بعد عقاب يحرمنا من الخروج للحديقة هو حكمة من أطفال لم يجربها للأسف الكبار
فالحكمة تقتضى أن ترضى بما اقترفته يداك ،وبنتائج أي مشروع أو تجربة

التجربة خير برهان حتى وإن كانت إرهاصاتها تنبئ بعدم نجاحها..
ولكن خوض التجربة هو تقدير لقيمة الحرية، واحترام لمن يطالب بها

فهلا منحنا هذه الحرية لأطفالنا ..ومنعنا قمع شبابنا...فنتذوق حلاوة ثمارنا..وإن بدت للآخرين لاااااذعة

من أجلك أنت

عندما تفقد الإخلاص يصبح العمل سُخرة

عندما تفقد الإيمان يصبح العيش كدرا

عندما تفقد الانتماء .. تصبح الدار غربة

عندما تفقد الأمل تصبح الحياة لغزاً ..والمستقبل مجهولا

عندما تفقد الهوية يصبح الكيان ضائعاً، والشخصية مطموسة

لا تفقد إخلاصك فى العمل حتى يصبح عملك متعة وعبادة

لا تفقد هويتك حتى تصبح لوطنك قلادة

لا تفقد إيمانك حتى يصبح عيشك جهادا

لا تفقد انتماءك حتى يظل قلبك بالحب فياضا

لا تفقد الابتسامة حتى تكون فى حياتك سعادة

إذا خرجت من وطن صغير فاحمل معك كل معانى الأمل..وكل مفردات الانتماء..وكل أنواع الإخلاص..

إن حياة الإنسان يستطيع أن يجعلها مجموع لمفردات جميلة... أو معانٍ بغيضة

يستطيع أن يحولها من ركود اليأس إلى طاقة الأمل

ينتظر الشروق عندما يتسلل الغروب ؛ فيرى فى هذا ذهاب الألم ...ويرى فى ذاك انتظار الأمل

جميعنا الفقير والثرى، المريض والعفىّ، القريب والقصىّ ، الضعيف والقوى

نحتاج لهذه المفردات فى معجم حياتنا

نحتاج لما تحملها من معانٍ لتطبيقها فى واقعنا

نحتاج للّه سبحانه وتعالى فى الشدة و الرخاء..فى الراحة والعناء.. .فى الغربة والوطن..فى الفرج والمحن

فى المحن نلجأ للّه
وفى الغربة نستأنس باللّه
فى الوطن نستعين باللّه
وفى الرخاء نشكر اللّه

إن حياة الإنسان بلا هدف..كالمفردات بلا معانٍ..كالمستقبل بلا أمانى..

فالحياة تستحق أن تضع لها هدفاً..

وأنت تستحق أن تجعل لحياتك هدفا.. ومعنىً.. وقيمة

فقد صنعت حضارة ...واليوم تبنى المستقبل..

أنت تستحق أن تفعل كثيرا من أجل أن تصبح... أفضل كثيراً

وجهان

وتشكو العملة من جشع البشر
تلهث من أجلى وتّدعى أننى سبب الكدر
تنعتنى بأننى ملعونة ولى وجهان
وأنت تلبس أقنعة يعلوها ألوان
فمن يحمل فى هذا الزمن وجه فقد ندر
ومن يحمل أكثر من وجه .....فهو إنسان

نعم..أصبح للإنسان أكثر من وجه

فوجه تكسب به الناس
ووجه تكسب به المال

وقد يكون هناك ثالث ترى به نفسك محنكاً فطناً ،فتقع فى وهم أن وجهيك هما دبلوماسية...فتقتنع بالأوجه الثلاثة

كانت الازدواجية من قبل مرضاً يعانى منه المجتمع، ثم تعددت الوجوه بدلا من وجهين

فالناس تريد وجهاً
والمال يريد وجهاً
والسياسة تريد وجهاً

والله عز وجلا لا تلزمه هذه الأوجه، ويريد وجهاً خالصاً له وحده

فهذا يجلس مع الناس فيلعن المال، ويدعى أنه سبب الكوارث، ويقتل المودة قبل صاحبها ،ويحمد الله على نعمة الستر والصحة ،وكفاه إياهما...
ثم يلهث لهثا وراء المال ويجعله هدفاً ...ويتخذ السياسة وسيلة لجمعه؛ فيخدع الناس، ويرائى الله
ويذهب بعد ذلك بوجه ليقابل الله تعالى فى عمرة أو حجة بوجه يدعى البراءة، ويطلب التوبة ،و لم يتب، يطلب المغفرة، ويتصنع البكاء ،و مازال يلتحف الرياء

وقد يكفيك إخلاصك بوجه لله تعالى الأوجه السابقة.. فتعامل الناس بوجه خالص لله تعالى.. وتكسب مالا حلالا بشرعه ..وتطبق الشورى الحق فتكون سياسيا

فبداية من الأسرة التى يتحدث ربها عن التربية ،والتنشأة الصحيحة فى حوار مع أبنائه يمارس سلطويته، وقد يرفع يده
والدولة التى تتحدث عن الديمقراطية، وتقمع معارضيها، وتزج بهم فى السجون
وصاحب الدين الذى يتضرع الى الله ليلا، ويرتاد بيوته نهارا. يرفض أن يعطى أخته حقها فى الإرث ، أو يظلم زوجته، أو يغش فى تجارته

فإذا رأيته اليوم متنفخ الأوداج مدعيا أنه لا يخشى فى الله لومة لائم لمن قد لا يوافق هواه ومصالحه.. تجده غدا لنفس الشخص منفرج الأسارير إذا ما توافقت المصالح والأهواء مدعيا أن المؤمن لينا هشا

قد يقترض ويكون قرضه حينذاك قرضا حسنا.. وإذا أقرض حدث مقرضه كل حين عن هم الدين ورد الأمانة

ورد فى الأثر أن رجلا أراد أن يضمن أحد الناس فقال له عمر رضى الله عنه (فأنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال الرجل لا ! فقال عمر: فهل سافرت معه ؟ فقال الرجل: لا ، فقال عمر: فهل تعاملت معه بالدرهم والدينار؟ قال : لا ، قال فاذهب فإنك لا تعرفه)

فاليوم تجد الجار يرتاد المساجد فتشهد له بالتقوى، ومع ذلك قد تتلق أنت أو غيرك أذى منه
وقد تعاشر صديقا سنين، وما أن جمعتكما الغربة تجده انقلب على عقبيه، وأصبح آخر
وتزعم معرفتك اللصيقة بقريب أو خليل، وما أن تعاملت معه بالدرهم.. حتى تجده شخصا آخر
وكأن الأمانة تنفصل عن الدين... فعبادته لله تعالى بلورها فى مظهر وعبادات فقط بينما «الدين المعاملة»

فالتعاملات هى المحك الذى يسقط قناع الدين أو الوطنية

ما أيسر أن تردد هتافا.. أو تدعى عنترية
أن ترفع شعاراً أو تزعم انتماء ووطنية
أن تطلق لحية ، وتلازمك مسبحة ومصلية

وأنت بين كل ذلك ليس لك إلا نفسك ومصالحك الشخصية

والعجب كله فى أن المجتمع أصبح لا يرى غضاضة، ولاينكر ذلك، بل أصبح حقيقة وواقع

فنجد أن فلانا بالرغم من عورٍ خلقه إلا أنه متفوق فى عمله، أو العكس ولا إنكار ولا استنكار بين وجه المرء فى عمله ،وفى بيته

والدراما تعرض لتاجر المخدرات المتدين، أو الزوج المحب الخائن، اللص الشهم، وكأنه إقرار بقبول نماذج مريضة

تكوين عجيب وتشكيل أعجب لمجتمع أصبح يضم نماذج مريضة ، آن الآوان أن يتغير كل هذا.. ونتخلص من أوبئة توطنت، ووجوه تلونت

قيل أن السفر سمى سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، ويبدو أن فى الماضى كان الرجال على سجيتهم وفطرتهم، فربما من كان يرتدى قناعا يتحلل منه عند السفر
أما اليوم فالسفر ربما يكون له قناعا مختلف كما يريده من سترحل إليه

وربما تحلل من سافر من شرقيته وعاداته فى بلد أوربى، وارتدى الجينز تناول البورجر، وفى آخر أطلق لحية ، وتمسك بأعراف البلد بدعوى التدين

إنها الوجوه أو الأقنعة التى أصبحت كالملابس ، يسهل وضعها و خلعها، لصقها ونزعها

لكنها الدنيا والبشر كلاهما يلعب مع الآخر

ويعتقد كلاهما أنه الغالب... والحقيقة أن كليهما مغلوب

فالدنيا قد تدير وجهها للاهث خلفها يزعم الزهد

لماذا يصعب علينا أن نفعل ما نقوله.. وألا ندعى ما لا نعلمه

نفكر بلغة ،ونتحدث بأخرى..
نؤمن بثقافة، ونمارس أخرى.. نردد شعارا، ونطبق آخر...
نعلن تصريحات، ونبطن عكسها ،وننفذ أخرى

أليس من الأسهل أن تخلع أقنعتك ويكفيك وجها واحدا تقابل به
اللّه.. والناس ..وتواجه به نفسك

لتكن ...لغة واحدة .. حُلة واحدة. . وجه واحد ... من أجلك ..
ومن أجل الناس . .ومن أجل الواحد الأحد

وصاحب وجه واحد لذى خلق وذى دين
يتخلى عن وجه لن يكون إلا قرين
فذو الوجهين لا ريب خوّانٍ أثيم
تراه اليوم فى حال.. وفى الغد ترى لئيم
فاظفر بوجه تفوز برضا رب العالمين
واهجر أقنعة لن يرضى عنها إلا مراءٍ ذميم
فوجه واحد.. لشخص واحد ..لإلهٍ واحد كريم

الهاربون إلى الحياة

بكل ما فيها من أملٍ وألمٍ..
بكل ما فيها من كد وجد..
بكل ما فيها شقاء ونقاء

نعيشها..ولكى نحياها لابد أن نمر على جسرٍ ينقلنا من العيش إلى الحياة
قد أطلق لفظة الحياة على العيش مجازا..وإن اختلف المعنى
فالعيش أصبح حياة، والحياة إن لم تكسبها وجودا ومعنىً.. أصبحت موتا

كلٌ منا له حياة يحياها يهرب إليها من حياة يعيشها
إنها الحياة التى تُعينه على تحمل الثانية
إنها الحياة التى تشعره بأنه مازال حيا فيها
فالموتُ هو أن تستسلم كل يوم لنفس الكدر، ونفس الرحى التى تطحنك فتتركك آخر اليوم متعبا لن يزول تعبك إلا بشيء يحييك
لا يوجد منا من يعيش فقط ..لابد وأن يلجأ للحياة ولو لساعة فى آخر اليوم
قد تكون بضع دقائق أو سويعات يغسل فيها آلامه..ويستعيد إنسانيته التى تقتلها الآلة، أو العمل، أو الضغوط أو..أو..

يقولون إن العقل قادر على أن يصنع من النعيم جحيما..وأن يصنع من الجحيم نعيما

وما أشقى عقولنا بنا..حين تحاول جاهدة أن تصنع نعيما من أشياء بسيطة، وربما تافهة..وهى مضطرة للتعامل مع خامات فقيرة؛ لتصنع منها سعادة وفيرة تشعرك بالحياة

قد تكون هذه الحياة ركعتين فى جوف الليل، ودعاء يبتهل صاحبه الى الله فينتهى من صلاته، وقد غسل نفسه
قد تكون هذه الحياة جلسة مع أبناء بارين يقرون عين والدهم المنهك فى عمله
قد تكون هذه الحياة كلمة شكر وحب لزوجة انتهى يومها بين أوانى المطبخ، وثرثرة الأولاد

وفى الحياة تقابلهم..

يربطون على بطونهم حجرا...لم يكملوا تعليمهم قسرا
تراهم فى حارة ،أو زقاق فى حىّ شعبى
يلهون ببعض الحصى، ويصرخون بسعادة حين يحرزون هدفا
إنها الحياة بالنسبة لهم تكمن فى هذه اللعبة الساذجة
بلا تكنولوجيا.. بلا إمكانيات.. بلا أى مثيرات
ومع ذلك تجدهم يسعدون بها
إنها تمثل لهم الحياة
كما يمثل جوعهم، وجهلهم أيضا الحياة التى يعيشونها
ولكنهم يفرون من الحياة إلى الحياة

يجلس العجوز الذى لا يكاد يرى شاشة التلفاز، ولا يسمع جيدا صوته بالرغم من أن الجيران يتضررون من علو صوته
فيسأل زوجته التى لا تختلف عنه عما يجرى من أحداث فى هذا المسلسل الذى يتابعانه منذ شهور

تخمن الزوجة الأحداث وتروى لزوجها ربما أصابت، وغالبا تخطئ
يهز الرجل رأسه قانعا، وليس مقتنعا بما روته له زوجته
إنها الحياة التى يفرون إليها من حياة تمتلئ بالأمراض، والعقاقير،
ومواعيد الأطباء، وفواتير المستشفيات
إن هذا ما تمثله لهم الحياة
فيسعدون بما لا يسمعونه ،ولا يرونه فى التلفاز
لكنهم أيضا يهربون من الحياة إلى الحياة

تأملت نماذج كثيرة وجدتها تفر من حياة تعيشها لحياة تحيا بها

مجاهدٌ يرابط و يجد فى رباطه حياةً له من عيشةٍ ذل
كتابٌ يخلد إليه وحيدٌ بلا صديق....
صحبة فى مقهى يلجأ إليها من لا ونيس له..
أغنية يسمعها سائق مركبة يرتاح إليها من ضجيج الأبواق

فى كل هذه نماذج يصنع العقل البشرى الرائع لصاحبها حياةً
يحياها، ليقنع بحياةٍ يعيشها .. ولو لساعة
ما دعانى لتأمل مشهد الهاربين من الحياة هو فرارى أنا من حياة
أعيشها.. لحياة أحيا بها
ولكننى أفر من الحياة بثرثرتها وضجيجها.. إلى الحياة بهدوئها
ود روسها
ووجدت الكثيرين مثلى.....
يهربون من الحياة إلى الحياة

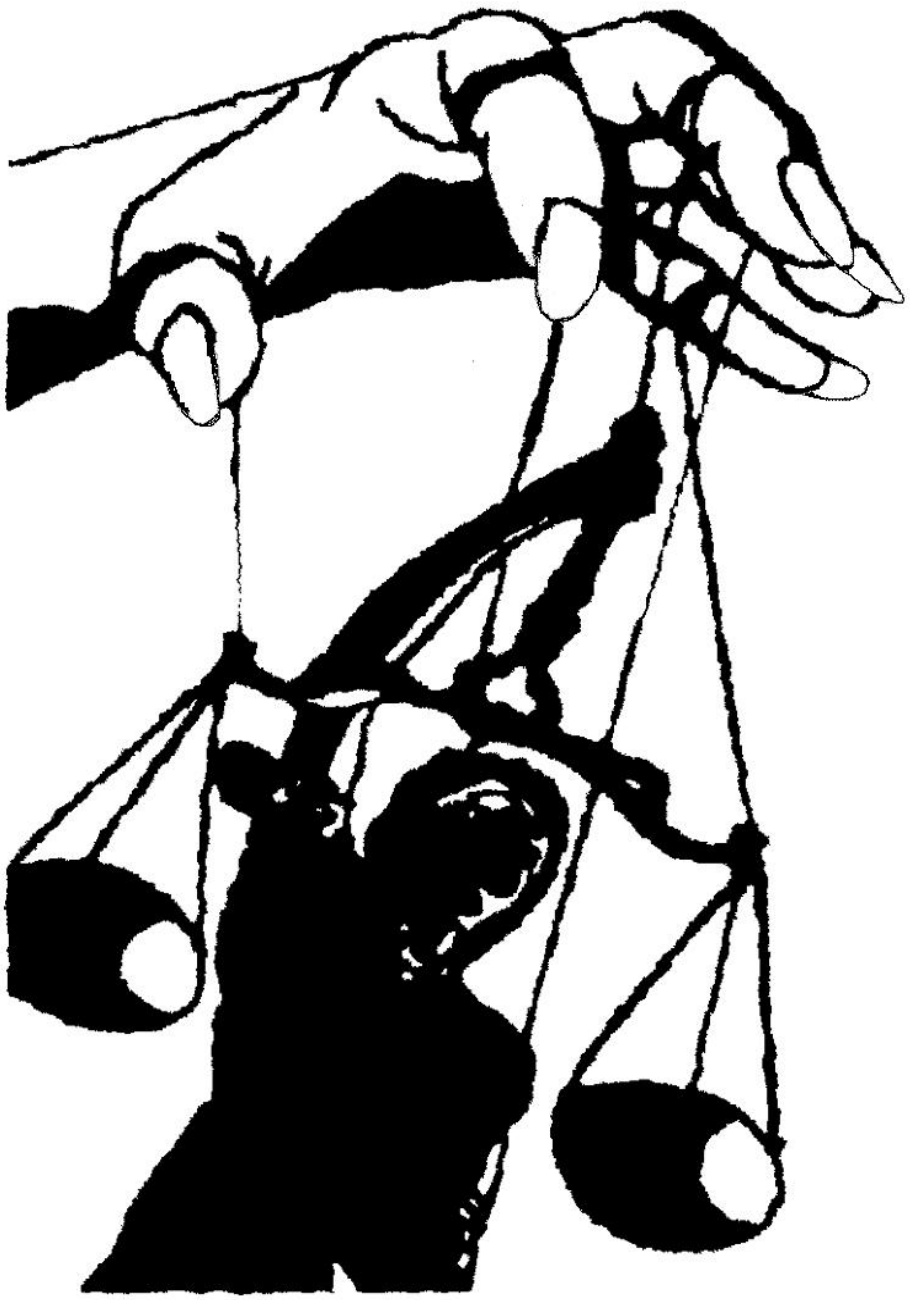

أعدلٌ ما نحن فيه!!..

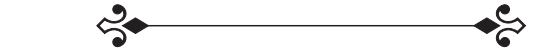

تمر علينا أحايين كثيرة..حين نحيط حياتنا بنظرة شاملة
فنجد أنها قد تغيرت تماماً..وتغيرت معها نظرتنا للمستقبل..وتغير
معها الهدف ،وبالتالى تغيرت خطتنا نحو الهدف
فنقف وقفةً ...أو نتأمل لحظة
أهو عدل ما نحن فيه؟؟
ونتغافل بعض الأسباب...ونفىء إلى الله سريعا
ونحمده..
فلعل عدم بلوغنا إلى هذه الأهداف رحمة بنا
و نتصنع السعادة بأقدارنا...
هكذا دوما أقول...
تصنُع المراد من صفة أو فضيلة يجعلك تبلغه
فمثلما الحلم بالتحلم..والصبر بالتصبر
فالسعادة إن شاء الله تكون بافتعالها..
ونتيقن أنه العدل الذى لا يجور...
ورحمته وكرمه قد سبقا عدله..
إن حِلّك وارتحالك..صحتك ومالك..
متغيرات، وليست ثوابت
إن إيمانك بالقضاء والقدر من الثوابت
وهدفك الأعلى من الثوابت
ولكن الوسيلة إليه هى المتغير
وحين تتسلح الوسيلة بالإيمان
فثق أنها ستبلغ الهدف مهما كانت المتغيرات
من رحمة الله..
إن للجنة أبواب عدة وطرق مختلفة

وللهدف وسائل كثيرة
وللنجاح نكهات مختلفة
قد يظل الهدف معلقاً
لحكمة يعلمها سبحانه
وقد تتغير كل متغيراتك فى الحياة
تفقد عزيزاً..تترك وطنك..تعتل صحتك..تخسر مالك
وبالتالى ..وسيلتك قد أعيقت..وهدفك لن يتحقق
عندها تشبث بثوابتك، وعض عليها النواجذ
فلحكمة لن تدركها ، ولعلم لا تطلّع عليه
يظل ما أنت فيه هو الخير..
نتأمل القصص القرآنى..فى سورة الكهف...
إذ تجلت حكمته سبحانه وتعالى في
خرق السفينة...
وقتل الغلام....
وبناء الجدار....
وفى مواضع أخرى تظل حكمته خافية علينا لنعلمها بعد حين...
أو لا نعلمها
كما لم يعلمها من قبلنا...
حتى.....
عاد رجع موسى إلى أمه...

واجتمع شمل يوسف وأسرته...

قرأت القصة التالية ،ورغم عدم ثبوت صحتها؛ إلا أن المعنى فيها
يجعلنا نعتبرها ولو من القصص الهادفة وقط...

روى أن امرأة دخلت على داود عليه السلام

قالت:يا نبى اللّه

أربك...!!! ظالم أم عادل ؟؟

فقال داود : ويحك يا امرأة هو العدل الذي لا يجور

ثم قال لها: ما قصتك؟

قالت: أنا أرملة عندى ثلاث بنات أقوم عليهن من غزل يدي

فلما كان أمس شدّدت غزلي في خرقة حمراء

و أردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه، وأبلّغ به أطفالي

فإذا أنا بطائر قد انقض عليّ.. وأخذ الخرقة و الغزل و ذهب،
و بقيت حزينة لاأملك شيئاً أبلّغ به أطفالي.

وبينما المرأة تتحدث مع داود عليه السلام
فإذا بالباب يطرق على داود.. فأذِن له بالدخول

وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده : مائة دينار

فقالوا يا نبي اللّه أعطها لمستحقها

فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال

قالوا يا نبي اللّه كنا في مركب فهاجت علينا الريح وأشرفنا على الغرق

فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل.....فسددنا به عين المركب..

فهانت علينا الريح وانسد العيب

ونذرنا للّه أن يتصدق كل واحد منا بمائة دينار

وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت

فالتفت داود عليه السلام إلى المرأة وقال لها:

ربك يتجر لك فى البر والبحر وتجعلينه ظالما؟؟؟

وأعطاها الألف دينار وقال:انفقيها على أطفالك

سبحانك يا رب..لا علم لنا إلا ما علمتنا...

أنت العليم ونحن الجهلاء...وأنت الحكيم ونحن السفهاء

حقاً وصدقا.....إنه العدل
ويسبق عدله...الرحمة والكرم
وإن جهلت عقولنا..وغشيت قلوبنا..وعميت أبصارنا

ما أحلى الرجوع إليه

قبل أعوامٍ عديدة.....

قبل أن يدرك عقلى إمكانيات الحاسوب ، وتتحسس يدى لوحة المفاتيح

ثمة علاقة كانت بينه وبينى ..ود .. عشق .. قرب وصدق

أصدقه العشق.. فيُصدقنى الكلمات
يرافقنى فى التنقلات..فأرافقه فى التأملات

كانت بينى وبينه علاقة حميمة احتضنه بأناملى، فيغدق علىّ بحنانه وكلماته؛ فتنساب انسيابا على صفحة بيضاء ؛ فأطويها ليملأ أخرى وأخرى

ودخل الحاسوب إلى حياتى .. ومن ثم... لأوقاتى

فبدأت بتدوين بعض ما ضمته أوراقى لحافظة الحاسوب..ظنا أنها قد تكون أكثر أمنًا وصونًا

طرقات رتيبة على لوحة المفاتيح ..قد لا أستطيع أن أتابع ما تطرقه أناملى ..فارفع هامتى التى تنحنى له كل فترة لأخطف نظرة لما أسطره أو...يسطره

فعلى عكس القلم والورقة الذى أكون معهما على تواصل .. فحروفى التى أخطها ..أكتبها كما شئت، وأتابع ولادتها حتى ترتسم على الورق

أما تواصلى على الحاسوب مع كلماتى فيكون ضعيفًا

وبعد سنوات اعتدت أن أحفظ ما أكتبه على حاسوبى، وبرغم فقدى لما احتفظت به مرات ومرات نظرا لعدم أمن وأمانة الآلة كما كنت أعتقد ، ولكن لم أتعظ، وواصلت ما أفعل

وتركت بعد فترة رفيقى الوفىّ ، واتجهت إلى شاشة ولوحة مفاتيح

لم أشعر بفداحة ما فعلت..تركت ما عشقته سنينا ، ورافقنى فكان إلى أقصى حد مخلصًا لى كريمًا معى

حتى أرقام الهواتف لم أدونها بمفكرتى كما اعتدت، بل سجلتها على هاتفى الخلوى

وكأننى أُنكر عليه أى عمل ..فما تركتُ بيننا خيطا رفيعا لكى نتواصل به

وبرغم كل ما فعلت فكنت أشعر أنه ينتظرنى حين أوقع على مستند ، أو اضطر لكتابة بيانات فى أى مكان ..

ومع وفائه لى .. لم أكن معه كذلك على الإطلاق

وبرغم جفاء الحاسوب وعدم أمنه وأمانته.. إلا أننى كنت ازداد اقترابا منه ، وابتعادا عن رفيق مشوار كتابتى

حتى أصاب حاسوبى عطل ، وأصابنى مللٌ من انتظار أن يفتح لى صفحته كلما وددت أن أسطر بضعَ كلماتٍ

فالتقيته، وأمسكته بحنانٍ بين أناملى، وانتظرت أن تأتينى من بينه الكلمات..فما وجدت ما ألفته منه سابقا

وكأن القلم جفانى حين هجرته ...فلم أجده دافئا بين أناملى، وهذا ليس بعهده

ظل القلم باردا فى إعلانٍ لخصامه ..رافضا أن يأتينى بكلمة فى استمرارٍ لعصيانه

مللته.. تركته..وعدت إلى حاسوبى، فلم ينصفنى وما عهدته منصفاً ، أو موحيا بفكرة أو كلمة
فلم يكن بالنسبة لى إلا مستقبلا لفكرة موجودة بالفعل

ظل قلمى عاصيًا غاضبًا يقطر لى بكلمات، وكأنه يقول لى كلمات نزار قبانى

أيظن أنى لعبة بيديه ؟

فألين له القول
حبيبى ...هل غفرت لى فعدت إلىَ ؟؟

فيذكرنى بإخلاصه لى منذ صباى وجفائى له

وما أكثر من بحياتنا لا نشعر بقيمتهم ..فيواصلون عطاءهم ...
ونواصل معهم جفاءنا
يقدمون فننكر..ويعطون فننسى..ويهبون فنجحد

إن القلم ليس إلا رمزا لرموز حية تتجسد فى حياتنا
فلنسرع بفتح الأدراج..والقلوب ..والنفوس
لنستخرج ما تركناه جنبا..ولفظناه حينا..ونسيناه دهرا
قبل أن يصيبهم ما أصاب قلمى ثأرا لكرامتهم..ورفضا لجحودنا

كان أول ماطلّ من ذهنى أو درجى هو...قلمى

ومازلت أدلله وأحايله فيرمينى بفكرة...أو كلمة

فابتسم.... وأسطرها قائلة....
ما أحلى الرجوع إليه

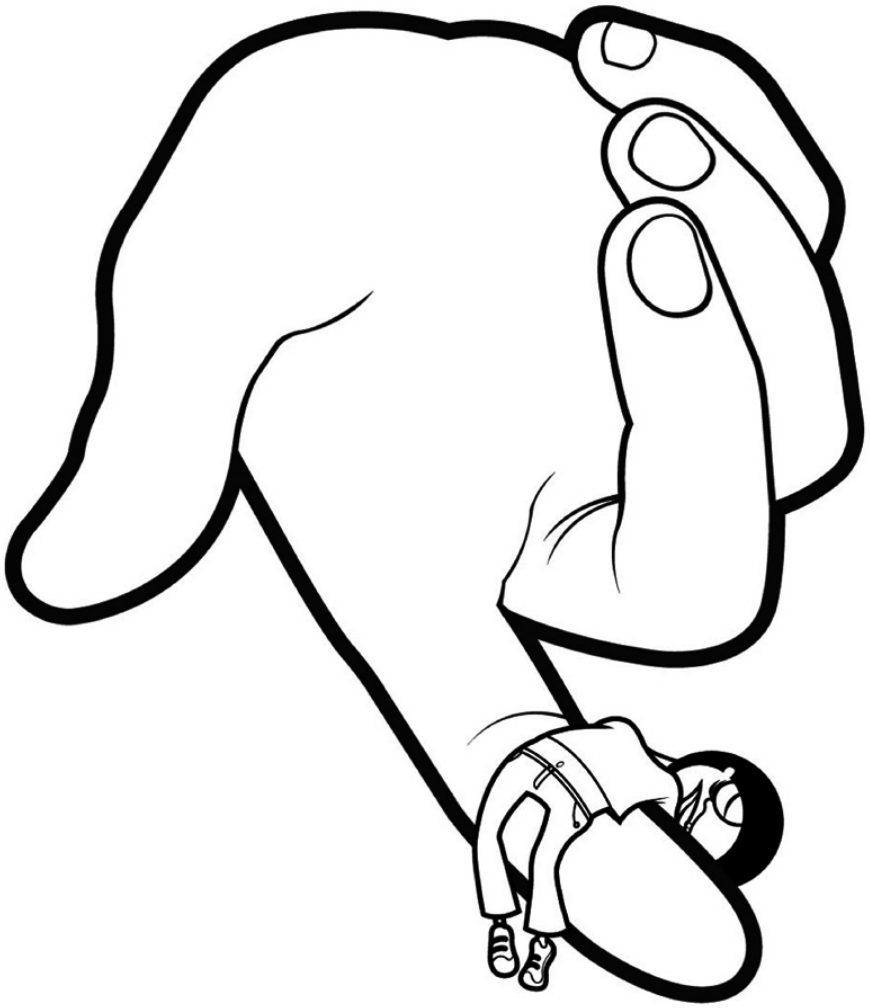

يومٌ واحدٌ من الحنان!!!!!

بين مفردتى الفقد والانتماء.. وجدتنى أفكر..
أسترجع مفهوم كليهما..ومردودهما على صاحبهما ..
أتذكر أحداثاً تعيدنى لنفس النقطة..بنفس الألم الذى يقذفنى على صخرة الواقع ...

فالانتماء شعور،إحساس، ممارسة،إيمان، ارتباط ، اعتزاز بمجتمع ،بأرض، بأسرة ، بفرد
ولاشك أن الإنسان عندما يفقد انتماءه، وارتباطه بالشخص أو بالمكان يصبح بلا هوية، وبلا كينونة

فقد الانتماء لمساحة جغرافية يشعره بالغربة... فقد الانتماء لجسد يُشعره بالعُرىّ، والافتقاد لقلب يُشعره بالصقيع، والمفتقد للمكان يشعر بالوحدة
أما مشاعر الفقد فلها مرارة بالحلق لا يشعر بها إلا من فقد رمزا، وافتقد مشاعره
فالفقد يحمل بين حروفه ألماً ، وعدم الانتماء يضاعف ذلك الألم لشعور الإنسان بالمرارة والقسوة معاً
ثمة علاقة بين الاثنين...
ويجتمعان فى اليتيم.....

تذكرت وأنا فى زياتى لإحدى دور الأيتام حديث دار بينى وبين الأخصائية الاجتماعية عن معاناة الأطفال نفسياً .. لم تكن شكواها من نقص المواد الغذائية، ولا قلة التبرعات بالقدر الذى شكت فيه من معاناة الأولاد خاصة فى سن مراهقتهم، وما بعد ذلك

حدثتنى عن نزلاء الدار..وكان الأيتام يشكلون نسبةً أقل من الثلث وهم أكثر توازناً فى الجانب النفسى من غيرهم
وكان أكثر من ثلثىّ النزلاء من مجهولى النسب أو «اللقطاء»، ونتاج التفكك الأسرى

تحدثنا عن مجهولى النسب وعن معاناتهم النفسية وشعورهم بالدونية حيث إن الأيتام يعرفون لهم جذوراً وعائلة، أما هم فقد أدركوا أن هناك أباً لم يعترف بهم، وأماً لفظتهم
غادرت المكان، وأنا أحمل هماً تجاه هذه الفئة التى لم يرحمها المجتمع فنعتها ب»أولاد الحرام» وعذرتهم فيما يشعرون به من كراهية نحو المجتمع وعدوانية قد عانوا منها
بل وفى زياراتى الأخرى وجدت أن هؤلاء الأولاد جميعاً يفتقدون شيئاً هاماً تسببنا نحن فيه بزياراتنا المتقطعة التى تجعلهم يرتبطون بزائر أو زائرة يطلقون عليها «ماما»
ويشعرون معها بالألفة والحب، ثم تغيب الزائرة، فتنقلب تلك المشاعر إلى حسرة وحزن

يتكرر الأمر.. وفى كل مرة تظهر «ماما» ثم تختفى، وتتكرر المعاناة .. وفى النهاية نجد أنهم فقدوا الانتماء لأى شىء
فليس لديهم أسرة، ولا بيت، ولا أى شيء يشعرهم بالارتباط به، والانتماء له

حتى الأم البديلة يعانون معها نفس المعاناة فهى تعتبر وجودها فى الدار عملاً ليس أكثر، وترعى عددا كبيرا من الأطفال،قد تترك العمل، وتتعاقب الأمهات البديلات على الطفل ويُصدم نفسيا فى كل مرة ترحل عنه أمه البديلة الذى يُفسر رحيلها بعدم حبها له، وعدم تمسكها وحرصها عليه ، فيفقد الثقة بنفسه وبالآخرين ، ولا يشعر بمشاعر البنوة تجاهها

ويأتى يوم اليتيم الذى ننتظره نحن لنشعر فيه بإنسانيتنا، يوم يقدم لنا أكثر مما يقدم لهم

فمردود العمل الإنسانى الخيرى على الإنسان أفضل بكثير من مردود تلك الزيارة لطفل لن يرانا إلا مرة فى العام يتضور جوعاً إلى الحنان

هذا لا يعنى رفضى لهذا اليوم .. بل أنتظر دورا أكبر لمن يملك فى قلبه قدرا من العاطفة ، وطاقة من الحنان

فلا ينقطع عن هؤلاء الأطفال ويتسبب فى صدمة لهم..وهم بحاجة ماسة ليد تربّت عليهم، وتمسح على رأسهم

كفى بهم مرارة اليتم، ومعاناتهم مع الفقد

زخر القرآن الكريم بآيات عن اليتيم، وكثرت أحاديث الرسول عن الترغيب فى كفالته، والعطف عليه، والإحسان إليه

وبعيدا عن كل ذلك..

أجد أننا بحاجة لهم أكثر من حاجتهم لنا..وأجد أن لدينا واجباً نحو مجهولى النسب، ونتاج التفكك الأسرى إذا أردنا مجتمعاً سوياً

يستحق اليتيم أكثر من يوم ، وأكثر من مجرد لعبة، أو ابتسامة، أو مسحة على شعره نحصى بها حسنات

يستحق اللقيط نظرةً رحيمة من المجتمع، واحتراماً من الناس، وإنصافاً من المحيطين به فلا نحمله وزر مالم يقترفه

يستحق نتاج التفكك الأسرى قانونا يقتص لهم من أب وأم لا يعرفان المسؤولية، ومكاناً يُجبر أسرهم على زيارتهم، ورعاية نفسية تعينهم على أقدارهم

ونستحق نحن أن نكون أكثر إنسانية مع كل هؤلاء...طالما خلقنا الله بشراً

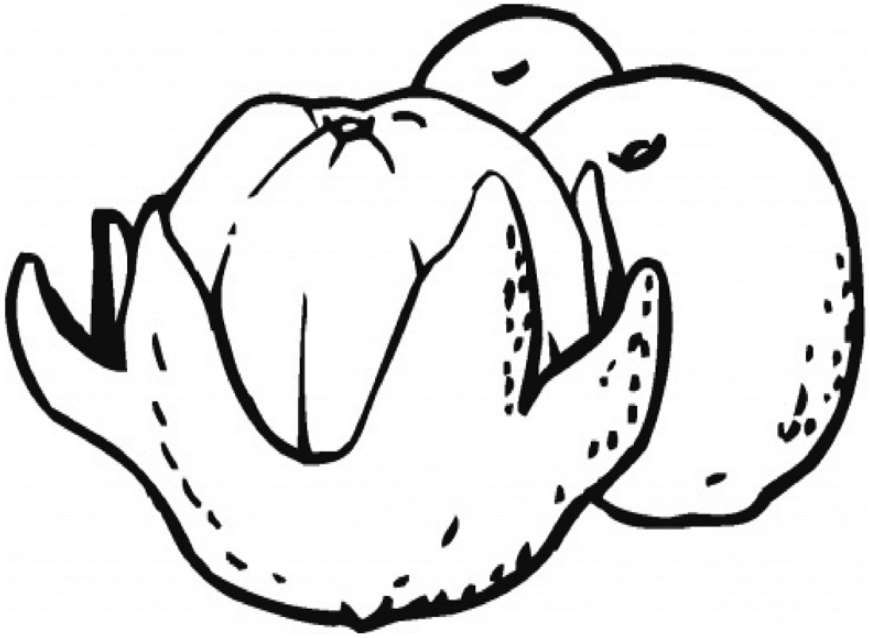

قشر البرتقال

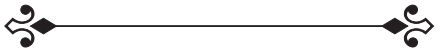

لم تكن تحب البرتقال كثيراً حين كانت طفلة.. كانت تحب اليوسفى أكثر لسهولة تقشيره أو الموز ... وربما أكلت التفاحة بقشرها

وعلى مر السنين أصبحت فى حالة وَلَّه بينها وبين البرتقال..تتنسم رائحته..وتعشق عصيره..وتحب تناوله كثيرا صيفاً وشتاءً

تستهل صباحها بكوب من عصير البرتقال بدون سكر..وحين تنتهى من إعداد الكوب ..تجمع القشر فتنظر إليه حزينة مبتسمة ..تلقى به فى سلة المهملات على مضض ..فهى تعتبر القشر ذا قيمة ربما فاقت قيمة البرتقال

نعم..لأن قيمته تمثل لها ذكريات الطفولة

لم تنس أبدا كيف كان البرتقال يجمع شمل الأسرة

فوالدها المنهمك فى عمله تجتمع معه بالكاد على مائدة الغذاء سريعا لينزل مرة أخرى لعمله الخاص ..وفقط يوم الخميس كان اجتماعهم الأسرى الدافئ

تأتى الأم بطبق كبير من الفاكهة يقشرها الأب للأطفال ويأتى دور البرتقال فيقشره الأب ثم يسأل الجميع ماذا تحبون أن أصنع لكم بقشر البرتقال؟

عروسة..ولد..شجرة..

فينحت الأب كل ذلك ويناولهم جميعا ما طلبوا فسيعد الجميع به..رغم بساطة ما صنع..ويسعد الأب رغم بساطة الطلب

ربما أكلت البرتقال رغم أن الطبق به أنواع أخرى حتى تحصل على قشر خاص بها

ومرت الأيام واختفى اليوم الدافئ لانشغال الجميع ؛ فازداد حبها للبرتقال.. أو بالأحرى لهذا اليوم

جلست ذات يوم لتُقشر لابنتها البرتقال..وسألتها كما كان يسألها أبوها ، فلم تتلق إلا رداً ساخراً..فحاولت أن تفعل صنيع والدها ..وبعد دقائق ألقت القشرة سائمة..وضحكت الابنة من سذاجة محاولتها وصنيعها

اختلف العصر..واختلفت مقتضياته

واختلف كل شيء ..حتى أبسط الأشياء

فلم تستطع طفلة الأمس أن تصنع صنيع والدها..ولم تسعد طفلة اليوم بما كان يسعد والدتها؟؟

تُرى لماذا؟؟؟

لم لا يسعد جيل اليوم بمَ كان يسعد به جيل الأمس؟

لِماذا لم تطق طفلة الأمس صبراً فى محاولة لإدخال لحظات سعيدة على طفلة اليوم ؟

ولماذا نفتقد لحظات بسيطة تدخل علينا جميعا السعادة؟

كانت طفلة الأمس هى أنا...
وكانت طفلة اليوم هى ابنتى..

كانت هذه خاطرتى وأنا أتأمل العلاقة بين الأسرة فوجدتها اختلفت تمام الاختلاف

فالأب أصبح لا يرى أولاده حتى حول طبق من الفاكهة، وليس حول طاولة الطعام

والأم أصبحت تعمل، وتربى، وتغذى، وربما انغمست فى أعمال أخرى، فأخفقت فى جميعها... وهى تظنه النجاح

قبل أن نحتفل بيوم الأم أو الطفل أوالأسرة علينا أن ننظر ماذا قدمنا لكل منهم من حقوق؟ وماذا عليهم من واجبات؟

فالاحتفال بعيد الأم أوالأسرة لا ننكره ، بل هو إحدى علامات التكريم التى حثنا عليها الإسلام ، ولكن الأمر أكبر من مجرد احتفال وهدية ويوم نتذكر فيه حقاً مهدر، أونرفع ظلماً واقع

علينا أن ننظر بعمق إلى العلاقة بين الأسرة فيوم يعبر فيه الابن عن حبه لوالدته لن يعيد الأواصر الأسرية التى فقدناها

ويوم نهتم فيه بالطفل لم يعد للطفولة حقوقها قبل براءتها ومعناها

تساءلت فى خاطرتى مؤنبة هذا الجيل وأنا معهم، فنحن قصرنا، وهم قد ازداد بعدهم النفسى عنا، فقدمنا لهم الكثير وهم يعدونه شحاً، بلورنا العاطفة فى شكل مادة ، فانعدمت لديهم قيمة الاثنين

وبالرغم من الثورة التكنولوجية التى ربما تسببت فى عزل أفراد الأسرة عن بعضهم ، إلا أننا لم نعد نسعد بالقليل ، ولا نحاول أن نجمل الواقع ليسعد الآخرون معنا

فأصبح الجميع غير راضين، وافتقدنا قيما عظيمة لن تعوضها التكنولوجيا

فالحاسوب لا يفيض حنانا على ابن اعتكف أمامه فى حجرته ، والهاتف لن يكون صديقا لابنة افتقدت والدتها طيلة يوم عملها ، وطاولة الطعام اعتلاها الغبار حيث حل «الدليفرى» مقامها، وحجرة المعيشة باتت باردة فكل فرد فى عالمه أو مخدعه .. لا يجتمع الجميع حتى لاحتساء الشاى أو مشاهدة التلفاز

أصبح تواجدنا سطحياً فى حياة أبنائنا، وأصبح تواجد أبنائنا ثانوياً فى حياتنا

إنها الحقيقة القاسية التى سوف تزداد قسوة إذا لم نقف وقفة طويلة لنرأب الصدع، ونرتق الثوب

إن العاطفة التى تمثلت فى شيء بسيط جمعنا تطل كل حين برائحة زكية كالشجرة الطيبة التى تؤتى أُكلها كل حين

كانت صادقة فظلت تنثر عبيرها حتى اليوم

فما زلت أذوب شوقا..وعشقاً لقشر البرتقال ...

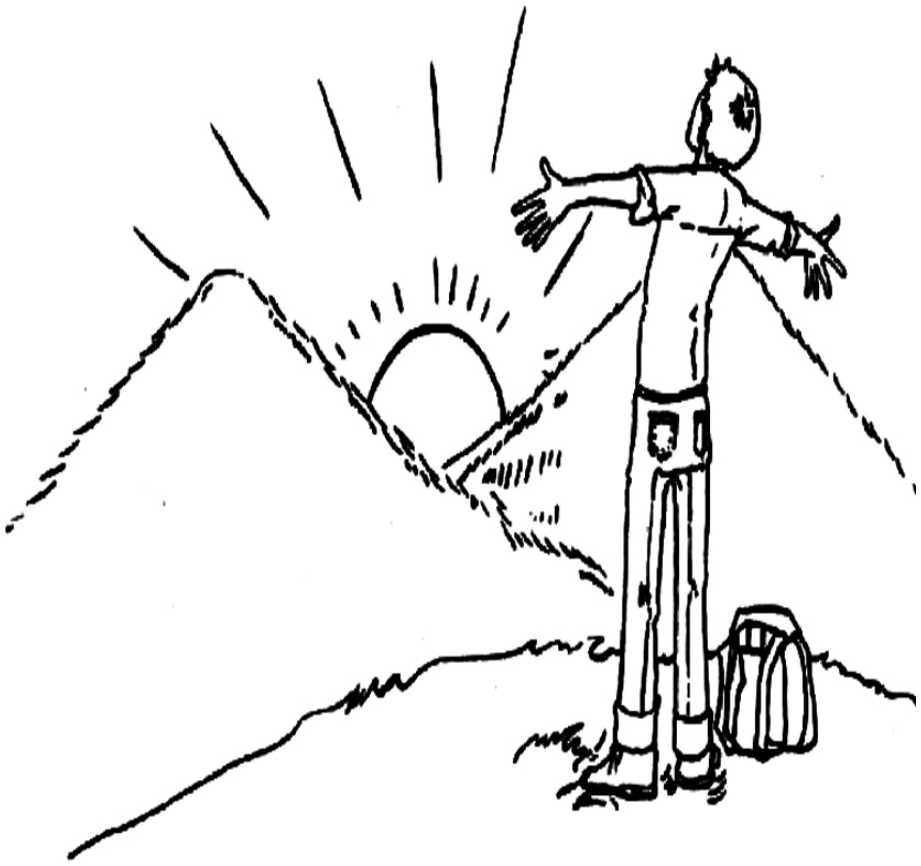

كن دبلوماسياً مع الحياة

ماذا سيُضير الآخرون إذا نظرنا إلى الجانب المظلم؟؟

ماذا سيضير الآخرون إذا نظرنا إلى نصف الكوب الفارغ؟؟

ماذا سيضير الآخرون إذا تعنتنا مع الحياة فزادتنا عنتا ؟؟

ماذا سيضير الآخرون إن لم نعش سلاما داخليا مع أنفسنا؟؟

ماذا سيفعل الآخرون إن شقينا ؟؟

هل سيتمعون لشكوانا؟؟

على الأكثر..

يستمعون ويتأثرون ربما يشاركونا الأحزان بعضا من الوقت.. ثم يندمجون مع مشكلاتهم وأحزانهم..
وينسون ما قد سمعوه وتعاطفوا معه ..

وهل نلومهم؟؟؟

وإذا وجّهنا لوما لمن يستمع لنا.. فماذا نُقدم لمن لم يستمع؟؟

أو لمن أهدى تلك الأحزان؟

الحياة لا تخلو ممن يقدم لنا هفوة، أو إساءة، أو طعنة ..

ولسلامنا النفسى.. ولكى نستطيع العيش ..

فعلينا أن ننتهج سياسية الدبلوماسية مع الحياة ..

ونضع قوانين تُريحنا.. وتُريح الآخرين

وتتلخص فى :

الإغضاء عن هفوات من نعرفهم، أما من لا نعرفهم فلا نُعير الأمر اهتماماً

التغافل عن زلات من يقتربون منا..

و التسامح مع من أحسنا لهم، وأساءوا لنا ...

أحيانا من يملك ذاكرة قوية لا تقدم له تلك الذاكرة إلا كل مرير ..فلا يتذكر إلا الأحزان فيجترها ...
ألا بمقدوره أن يستبدلها بأخرى ضعيفة ليتناسى أتراحه، ويستبقيها ليتذكر أفراحه...

ولنتذكر دائما الجانب الخيَر ...

فإذا ضاق الزوج بتصرف من زوجته.. تذكر لها صواباً

وإذا ضاقت الزوجة بشيء من زوجها.. تذكرت له اختياره لها من دون النساء

وإذا ضاقت زوجة بحماتها.. تذكرت أنها أهدتها ابنها على طبق من ذهب

وإذا ضاق جار بضجيج جاره.. تذكر ثرثرته التى تؤنس وحشته

وإذا ضاق الصديق بموقف من صديقه.. تذكر له يوما عوَده أو هاتفه

وإذا ضاق طالب بعقاب معلمه.. تّذكر أنه علمه ولو حرفاً

وإذا ضاق المرء.. بوخزات القدر تذكر ثواب اللّه

وإذا ضاق أحدنا.. بقسوة الأيام تذكر رحمة اللّه

وقد لخص أحد الشعراء هذه الفلسفة فى أبيات حكيمة ...

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا **** صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فانه **** مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى****ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها **** كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه

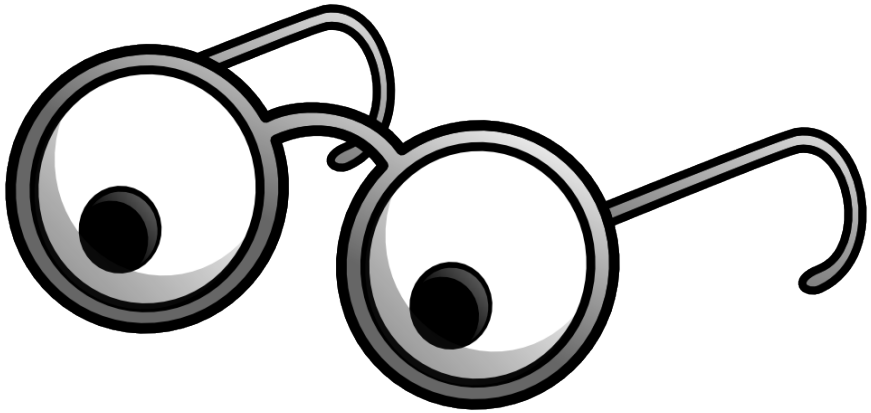

فضلاً.....ضع نظارتك

أعشق وحدتى، مهما نالنى من تقريع ولومٍ عليها، فهى تعطينى الفرصة ؛ لأمارس عادتى فى تأمل الحيًاة بمواقفها، ود روسها

وبالرغم أن نظرتى للحياة بمفارقاتها نظرة ساخرة.. إلا أن السخرية هى حالة من التأملِ الطريف ، والمثير لعقل الإنسان المحدود

فأحياناً التأمل يكشف لك قسوة الحياة أو رحمة القدر..صفاء النفوس، أو رعونة البشر

كما أن التأمل يحتم علينا أن ننظر لكل أبطال الحياة وكواليسها بنظراتٍ متعددة، ومختلفة

فالحياة قصيرة، ونحن نقتتل عليها ..فلا ينال الفائزُ من الغنائم ما يستحق القتال..ولا يخسر المهزوم فى حلبة الحياة أكثر مما نال

ونظرتنا للأشخاص يجب أن تكون نظرة تكاملية من جميع الزوايا ..نظرة تدرك جميع الجوانب حتى تكون مُنصفة ..فالنظرة الأحادية لايمكن ألا أن تكون مُجحفة

ونظرتنا للأشياء هي باب واسع للتأمل، فقد خرجت نظرية الجاذبية للوجود بسبب نظرة "نيوتن" لسقوط التفاحة بشكل تأملي مختلف

قد يكون مجال البصر محدودا، أو قاصرا، أو طويلا نحتاج له حينئذ لنظارة فتقرب لنا الأشياء أو تبعدها ، توضحها أو تكبّرها

وقد ترى النظرةُ الهادئة المتأنية مالا تراه الساخرة ، وترى الأخيرة عمقاً لا تراه السطحية

وتتعدد النظرات للحياة أو لمواقفها..دون سرد أو تصنيف لها

ف نظرة ساخرة تقول أن كلنا فى مسرحٍ كبير نمثل أدورا قد ننجح فى آدائها ،أو نخفق

ونظرة هادئة تقول أن تلك الأيام نداولها بين الناس

ونظرة واثقة تقول إن غدا لناظره قريب ثم يكون أقرب مما نتخيل

أشعر بالتقصير إذا ما نظرت لموقف أو قرار من نظرة واحدة فقط ، وأتذكر حينئذ الأفلام ثلاثية الأبعاد (٣d) التى تُتيح للمتفرج رؤية أوضح وأعمق

فإذا لم تنظر إلى الموقف بنظرة ثلاثية الأبعاد تتضمن الطرفين، وظروف كل منهما... فعلى الأقل لتكن من خلال بعدين أنت والطرف الآخر

فقد ترى بنظرتك المحدودة الشخص المرموق الثرى سعيدا وقد أوتيت له مقومات السعادة ، ولكن ما إن ترتدى نظارتك فتقترب منه ، فتجده ليلا يعانى الأرق، ونهارا يعاند المرض، ويبدو للآخرين سعيدا رغم آلامه التى تحرمه لذة الاستمتاع بكل مقومات سعادته

وقد تعتقد أن هذا الناجح المتميز هو نتاج عوامل إيجابية أدت لنجاحه من بذلٍ مادى، وأسرى، وما أن تنظر له عن بعد بنظرة شاملة ؛ فتجده وحيداً، فقيرا ، امتطى صهوة النجاح حيث لا درج لمثله يوصله للعلا إلا تفوقه وتميزه ..فتذهب فرحة نجاحه أدراج الرياح إذ لم يجد من يشاركه إياها

فالوضوح هو محك حكمنا على الأشياء، والمواقف، والأشخاص

أن نشاهد الشيء بوضوح فنحكم بصلاحيته، أو فساده

أن نرى الموقفَ بوضوح ؛ فنستطيع أن نسيطرَ عليه

أن نبصر الشخصَ بوضوح وإنصاف ؛ فتنجلى لنا شمائله لا أن تتوارى خلف رذائله

أن نرى ونبصر ونشاهد الشخص، ومواقفه وما أحيط به من أشياء ومتغيرات، فنقد نعذره، أو ندينه، نُثنى عليه أو نُشينه، نتخلى عنه أو نُعينه

فبوضوح الرؤية تنجلى لنا المواقف، وتنكشف لنا الأشخاص، وتتضح لنا الأشياء

هناك من الأمور ما تتطلب أن نراه عن بُعد ؛ لتتسع نظرتنا وتشملها

وهناك من الأمور الأخرى التى تتطلب أن نراها عن قرب فالتفاصيل الدقيقة تتطلب الاقتراب... والرؤية الشاملة الواسعة تتطلب الابتعاد

فالوجه القبيح قد تراه فى الغد جميلا عندما تقترب منه ..والعكس صحيح

والمشهد الغامض قد يكون أكثر وضوحا حين تبتعد عنه فتشمله نظرتك

والشيء المجهول يصبح معلوماً إن غصت فيه، وعرفت عنه

والبعيد المتناهى فى الصغر تراه عملاقا إن قرب

والقريب متداخل التفاصيل تراه واضحاً إن بعدت عنه

إنها نظارة نرتديها إن أردنا نستوضح بها الأشياء ..نكتشف بها الأشخاص..

إن الحياةَ بمعتقداتها وتعقيداتها ...بشخوصها وطقوسها...بمواقفها وتوافهها...بمن يعيشون فى عناوينها، أو على هوامشها

كل هذا يحتاج منا إلى رؤية متعددة الأبعاد .. رؤية شاملة بتفصيل.. رؤية كاملة غير مُشوشة..حتى يكتمل المشهد

فربما يكون المشهد واضحا ..والرؤية القاصرة تراه مشوشا..ومن هنا تكمن المشكلة فينا وليس فى الآخر من خلال نظرة غير واضحة

فالنظرة البعيدة الشاملة تبصر بها شرفة جارك بوضوح فى حين لا ترى شرفتك بنظرتك المحدودة

و تكون المشكلة فى نظرتنا ، أو عدم وجود نظارتنا

وقد اعتدت أن ترافقنى نظارتى..أرتديها حينا ،وأخلعها أحيانا

قد لا تكون منظار جاليلو ..ولكنها على الأقل سوف تمهلنى وقتاً أراجع فيه موقفا حين أشرع فى خلعها ، أو ارتدائها

وهذا الوقت قد يكون سببا فى أن يخمد بركانا ..أويعقد لسانا.. أو يظهر بيانا..

وكما قال الكاتب دنيس واتلي «إن نظرتك تجاه الأشياء هي من اختيارك أنت »

«إن نظارتك هى نظرتك»

فلا تلبسها كل الوقت، ولا تخلعها بعض الوقت...فقط اجعلها ترافقك فترفق بك، وتترفق بأشيائك التى قد لا تتبيّنها، وأُناسك الذين لا تعرفهم

إذا .....

انطفأت الأنوار..

وتعالت الأسوار

وعميت الأبصار

وقضت الأقدار

إذا انقطعت الأسباب..

أغلقت الأبواب

وتحجرت الألباب

ونفذت الكلمات

وامتلأت الصفحات

إذا غشيت البصائر..

وتاهت المصائر

وخارت القوى

واتسعت الهوة

كثرت الأدواء

وخابت الأرجاء

لنتذكر.....أن

نور الإيمان لا ينطفئ

بصر المؤمن لا يخدعه

بصيرة قلب المؤمن لا تغفل

باب الرحمة لا يغلق

ما عند الله باق لا ينفد

قوة الحق تدحض الباطل

من يعلق رجاءه على الله

لا يخيب له رجاء

ورحمة الله وسعت كل شيء.....

ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون

اذهب وربِّ كلباً

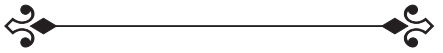

عندما ينفصل الزوجان فى الأفلام الأمريكية، ويعانى الزوج الوحدة ومن ثم الاكتئاب؛ فيذهب لطبيب أمراض نفسية، ويسرد له معاناته مع الوحدة وافتقاد الأسرة فينصحه «اذهب ورب كلبا»

وتتكرر النصيحة من أخصائيين نفسانيين، أو أطباء فى معظم الأفلام الاجتماعية التى يعانى أحد أبطالها الوحدة والاكتئاب

نجد أن الكلب شيئا هاما وأساسيا فى الأسرة الأمريكية ، وينال قدرا أكثر أهمية حينما يعيش فردا ذكرا أو أنثى وحيدا

فالسيدة العجوز تتكئ على عصاها ؛ لتعد للكلب إفطاره ،والرجل يخرج فى الصباح، ليس لعمله ،ولا لأصدقائه حيث انفض الكل من حوله ؛ ولكن ليُنّزه كلبه

إنه الآخر الذى يدعوهم للحياة، وينتظر عطاءهم ؛ ليشعروا أن هناك من يحتاجهم فعليهم أن يتشبثوا بحياتهم التى كثيرا ما نجدهم يتخلصون منهم بسبب الوحدة والاكتئاب

فالمسؤولية قد نعدها ثقيلة، ونحلم باليوم الذى يأتى لنتخلص منها ونعيش بلا أعباء ولا مسؤوليات، ولكن الأشد ثقلا على النفس قبل الجسد هو الإحساس بالفراغ والوحدة، أن تشعر أن ليس هناك أحد يهتم بك أو تهتم به، لا تشكل قيمة أو أهمية فى حياة أى شخص، لاتنتظر أحد ،ولا أحدا ينتظرك

إنه الموت الذى يرتدى رداء الحياة.....

روت صديقة لى بأن السيدة التى تساعدها فى أعمال المنزل والتى طُلقت من زوجها ؛ لأنها لم تنجب، وتقطن فى عشوائية تفعل فعلا تتعجب صديقتى له، وهى أنها تستأجر ابنة أى أسرة فقيرة لمدة سنوات فتعيش معها ،وتربيها حتى تطلب أسرة الطفلة التى صارت صبية ابنتهم فتعطيها لهم، وتكررالسيدة الفعل مع طفلة أخرى

فقلت لها إن هذه السيدة لابد أن تشعر بأنها تعيش من أجل شخص ما ينتظرها..تقدم له فتحيا، و تعطى له فتسعد لسعادته مرة، وتسعد بعطائها أخرى، فعقل السيدة البسيط هداها إلى نوع من العطاء يحقق لها الحياة.. رغم فاقتها الشديدة ؛ ولكنه إكسيرالحياة

ولو كانت قد نالت قدرا من الوعى ؛ لعرفت طريقاً للمؤسسات الخيرية ودور الأيتام التى قد تجعلها تشعر بقيمتها لأشخاص عدة بدلا من واحد فقط

فلنتخيل لو أن هذه السيدة التى حُرمت من الأمومة فتركها زوجها، وبالتالى حُرمت من الأسرة فإذا ما أتى عليها الصباح فلمن تقوم؟ ولماذا تعمل؟ وربما تحدثها نفسها من يريدنى؟ ولماذا أعيش؟

فأحيانا المسؤولية التى نتملص نحن منها يبحث عنها غيرنا ؛ ليشعر أنه يحيا من أجل شخص، وأن هناك شخصا ينتظره ويكون مسؤولا عنه

فعقلها البسيط هداها لتلك الفكرة التى قد نتألم لها ؛ ولكنها تسعد هى بها وتسعد طفلة فقيرة بين كُثر قد لا تنال عُشر الاهتمام الذى ستناله من هذه السيدة ،وتخفف العبء من على أسرة تؤجر ابنتهم لتطعم الآخرين

لم أقتنع بفعل هذه السيدة ولكننى تعاطفت بشدة معها.. بل ومع الطرفين الآخرين

ووجدت أننا نتملل من نعم كثير مثل فرص العطاء التى نعتبرها مسؤوليات، والتى يبحث عنها آخرون، ويدفعون فيها أموالاً ليحصلون عليها

ووجدت أننا لم نحتاج أبدا لكلب ليؤنس وحدتنا، فنجعله قضيتنا وأمرنا وهمنا ؛ حتى نستطيع أن نكمل مسيرة الحياة ،فديننا العظيم يدفعنا دفعا لقضايا عدة نحيا من أجلها بل ويدعونا لكى نساعد الآخرين ليحيوا هم أيضا

فيدعونا لنبر أهلنا، ونصل رحمنا ، ونتواصل مع جيراننا، ونرأف بكبارنا ، ونرحم حيواننا، ونحسن إلى إخواننا من أهل الكتاب

بل وجعلنا كالجسد الواحد فى التراحم والتعاطف، وهذا يملى علينا واجبات تصل بنا إلى هذا البنيان القوى،والتشبيه البليغ

فأى حياة هذه التى نحياها من أجل الغير ، وفى الحقيقة هى من أجلنا أيضا لأن كل هذا العطاء سيكون له مردود علينا لكى نستمر. ونعطى ..ونسعد

إن قيمة العطاء لا تمثل الحياة للطرف الآخر.. ولكنها تُمثل قمة الحياة لنا

فقيمتك كإنسان تعلو بعطائك ..وقيمتك للآخر تعلو عنده بعطائك أيضا ،وقيمتك عند الله تفوق السابقتين إذا ما أخلصت النية

أحيانا نعتقد أننا سنسعد أو نحيا حياة أكثر سعادة بعطاء من حولنا، ولكن سنجد فى عطائنا سعادة تفوق سعادتنا عندما نتلقى

فبالرغم أننا والحمد لله لا نحتاج لكلب أو هرة أو أى حيوان نربيه فيؤنس وحدتنا إلا أننا لنا فى كل كبد رطبة أجر

فالكلب الذى كان يلهث غفر الله لمن سقاه

والهرة التى حبستها صاحبتها دخلت فيها النار

يقولون...على قدر عطائك يفتقدك الآخرون

وأقول ..على قدر عطائك ستكسب ذاتك ، وتسعد نفسك

فما أجمل القيمة التى تكسبك نفسك والآخر، وتسعدك والآخر، وتمنحكما الدنيا وتهبكما الآخرة

فعطاء اليد يسمو بالنفس وبالروح
ولسان بجميل الكلم يطبب ألم وجروح
ففى السماء لكل منفق ومعط ثواب يلوح
وفى الأرض قلوب تحفك وبالود تفوح

من أين تأتينا السعادة... و من أين يأتينا الشقاء ؟؟؟

يقول أحد الصالحين
(إن السعادة التى ينشدها الناس جميعا إنما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبداً، وإن الشقاء الذى يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بسبب هذه القلوب والنفوس كذلك..)
وبناءً عليه..
فنحن إذا ساورتنا أفكار سعيدة كنا سعداء..
وإذا تغلبت علينا أفكار سوداوية أصبحنا أشقياء..
وإن تغلبت علينا أفكار مزعجة أصبحنا خائفين جبناء
وإن تملكتنا هواجس المرض شعرنا بالإعياء وسقطنا مرضى
ف..
صفاء النفس ينطبع على صفاء العيش
وجمال الخلق ينطبع على جمال الخلقة
ونقاء القلوب ينطبع على نقاء أفعالنا
أما السؤال..
كيف نتغلب على همومنا حتى لا نشقى بها؟؟
ومن منا بلا هموم أو ابتلاءات؟؟
فلننظر إلى همومنا وابتلاءاتنا بعين الرضا والحمد لله إن الهم والبلاء جاء فى الدنيا وليس فى الدين، ولننظر إلى هذه الدنيا بعين السخرية ولم لا؟؟؟ فهى الدنيا من الدنو
وما أدنى منها إلا أناسا باعوا أنفسهم، ولهثوا وراءها،
وما أغفلهم.. فلن تعطى لاهث ورائها شيئا

أما لو نظرنا إلى همومنا بعين ساخطة وسوء حظ ... تعاظمت الهموم، وأثقلت كاهلنا
وما لنا لا ننظر إلى حياتنا كفترة وتنتهى آجلا أو عاجلا؟؟
فلا نخدع بما تهبه الحياة لنا ...
ولا نجزع بما تعطه الأقدار لنا...

وكيف نتآلف مع أى مأساة نعيشها؟؟
فلنحاول أن نقلل من حجم أى مشكلة نعيشها، ونستهين بها
ولنتأمل حجم النعم التى أسبغها الله علينا ... ونعددها بل ونستكثرها على أنفسنا..

لا لنيل الأجر فحسب ...
بل ....
لنستطيع العيش بسلام مع أنفسنا..

وكيف نخلق لأنفسنا سعادة؟؟
السعادة ليست شعوراً مؤقتاً أو لحظياً
كما أنها ليست شخصية...تنفصل عن آلام الآخرين ..

فهل يمكننا العيش في سعادة والتمتع بملذات الحياة عند فقد عزيز، أو إصابة قريب، أو هم ألّم بجار، أو لما يحدث في بلاد المسلمين
فإن فَرّ الحياء يمكن أن تُولد سعادة تحت تلك الظروف
ولكن السعادة الحقيقية تكمن في.....
مساعدة محتاج..
تفريج كربة لشخص..
إعانة مسلم..

وما أجمل أن تسمع ضحكة طفل باكٍ أسعدته
أو تسمع دعاء شخص أعنته
أو تلمح مسحة من الفرحة لشخص فرجت كربه

حينئذ تشعر بالسعادة، وإنك سعيد لسعادة الآخرين
فكم السعادة سيكون أكبر إذا ما اتسعت دائرة السعداء، وكيف السعادة سيكون أعمق وأبقى إذا ما تعدت السعادة الشعور اللحظى لإشباع الشهوات
إن عطاءك للآخرين يدخل عليك السعادة..وشعورك بأهميتك لديهم يدخل عليك السعادة..فالعطاء مكرُمة تسعدك وتسعدهم وتجلب محبة الله والناس

ولتعطِ للسعادة مفهوما آخر، وبعدا مختلفاً، ولا تقصر السعادة على ما وهبته لك الحياة
جرّب...
وإن أردت أن تكيل الأمور بمكيال العقل..فامسك قلمك واكتب جميع ما أنعمت به بادئاً بأخمص قدميك إلى شعر رأسك... واحصهم عددا
واحسب أيام السقم والعافية.... والمحنة والفرج....والضيق والسعة ستستمر أياماً مصاحباً قلمك معدداً نعماً لا تعد ولا تحصى
وستجد فى مالم تحظ به ومالم تحققه حكمة ...
وقديما قالوا....
إذا لم يكن ما تريد....فأرد ما يكون ...تكتشف جماله
فلنكتشف ونسعد بما هو كائن...ولنأمل فيما سيكون... ولا نحزن بما كان
وأخيرا.....
كن جميلا ترى الوجود جميلا...

ولم لا يبكينَّ عليه ؟!

إنما يبكى على الحب النساء
لا تبكى النساء على حبيب هجر وساء
ففى الحب رقىٌ، وفى سموه العلياء
إنما البكاء على قيمة وأدها السفهاء
قد تراهم يسخرون من حب فى خيلاء
فأقول.. ويّحكم فإن الحب شيمة النبلاء
ففى القلب سكن، وفى اللسان عذوبة، وللنفس سناء
فمن يعجز عن الحب، فهو والميت سواء
فقلبه صار آلة...وأضحى فقط يضخ الدماء

نعم...تبكى النساء على الحب.....
..ليس بكاء المنهزم.. بل بكاء المخلص، بكاء من أعطى فحُرم، وطبَ فكُلِم
تبكى النساء على الحب ..

لأن الحب قيمة عظيمة، وما يبكين إلا على قيمة أُعدمت، أو شوهت
لحنو فى قلوبهن..لعظمة فى نفوسهن..لسمو فى أرواحهن

إن رقة القلب ليست عارا بل هى نعمة... ففى الدعاء اللهم رقق قلبى..ورقة القلب تحتم عليه إقراره للحب ..وسعته لكل محب

نعم ..تبكى النساء على الحب.....
...فالمرأة لا تستطيع أن تعيش بلا حب..لا يمكن أن تخلو حياتها من هذه القيمة بأى صورة من صورها

تبكى على ابن أرضعته عطفاً فعاقها
على زوج وهبته حباً فخانها
على أب تودت له قرباً فنكرها
على قريب..أو حبيب ودّع قربها

ف الحب الذى سخر منه قاتل زيد بن الخطاب فى معركة اليمامة وجاء لأخيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد إسلامه فقال له سيدنا عمر إنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدماء
فقال الرجل أويمنعنى هذا حقى فقال لا...
فقال الرجل لسيدنا عمر «مالى ولحبك ..إنما يبكى على الحب النساء»

حتى صارت المقولة ضربا يستشهد به الناس فى رقة قلوب النساء، وكأن الأمر سُبة ..أوللحب عار ، وللعقل دمار

هذه المقولة كانت على لسان قاتل قبل إسلامه.. ومن يقتل نفسا فأعتقد إنه لا يعرف حبا..ولا يملك قلبا ولن يذرف دمعا ..ولا أعرف لماذا تنتشر هذه المقولة وكأنها قد ذكرت على لسان لقمان الحكيم
بل واختزال الحب فى علاقة بين الجنسين.. فالحب مفهوم متعدد الأبعاد..والشمولية

إن انتحار القيم أو وأدها ..وتشويه الشمائل أو فقدها..وانعدام الفضائل أو محوها

تستحق منا البكاء حتى النحيب...تستحق من الشمس أن تغيب..
وكيف لا يستحق الحب أن تبكى عليه البشرية من نساء ورجال!

أليس هو دافع الحياة ..ومحرك القلب..ومطهر النفس..

أليس الحب من جعل الرسول يهرع لبريرة مولاة السيدة عائشة يسألها العودة لزوجها الذى كان يبكى عليها حبًا وحزنًا لفراقها له غير مستنكر حب مغيث لبريرة
أليس الحب من جُعل له فى الجنة منزلة للمتحابين
ألم ترد لفظة الحب فى القرآن الكريم عشرات المرات فى علاقة المرء مع ربه ورسوله وأهله بكل صورها
ألم تكن حياة رسولنا الكريم مع السيدة عائشة بكل مافيها لمسات حب نبيلة مكشوفة أمامنا ؛حتى نجدها مثالا نحتذى به
ألم يبكِ الرسول على فراق زوجته وابنته
ألم يبكِ الفاروق المعروف بشدته فى الحق حتى على نصرانى رحمة به

إن الحب يروى القلب كما يروى الماء الأرض
فإذا منعنا عن الأرض الماء جفت وتصحرت
وإذا منعنا عن القلب الحب ..ستكون الحياة حادة كالنصل .. صلبة كالصخر.. خالية كالقفر..

إن البكاء على الحب لا أستنكره ..وإنما أستنكر بكاء على حبيب لم يصن هذا الحب، لم يقدره، ولم يعِه
فبالحب نطهر نفوسنا..نغسل درن قلوبنا..ونخفف عبء أثقالنا... نزين برفقه أعمالنا

ليست النساء فقط من يبكين على الحب..
بل يبكى عليه كل ذى قلب

لسنا ملائكة ولا شياطين

قرأت قصة قد تكون أسطورة أوحقيقة ..ولكنها ذات أثر بالغ فى النفس
فأحيانا القصص البسيطة يكون لها دلالة عميقة تستوقف العقل .

روى أن أحد الملوك دعا رساماً شهيرا و وطلب منه رسم صورتين مختلفتين ومتناقضين أمام باب أكبر مركز روحى فى المدينة وحدد له الصورتين أن يكونا لصورة ملاك و يرسم مقابلها صورة الشيطان

وذلك ليُبين الفرق والاختلاف بين الفضيلة والرذيلة من باب « وبأضدادها تتضح الأشياء»

قام الفنان بالبحث عن مصدر يستوحى منه الملائكية والبراءة، فوجد طفلا بريئا يشع وجهه بالوداعة

رسم الفنان صورة الملاك وقد استلهمها من خلال جلوس الطفل أمامه كل يوم لفترة حتى انتهى من لوحته، وكانت اللوحة مُبهرة لكل من يراها ، فقد كانت نسخة من وجه الطفل الملائكى

وبعد ذلك بدأ الرسام في البحث عن شخص يستوحي منه وجه صورة الشيطان ، فزار السجون والحانات وأوكار المجرمين، ولم يجد ضالته فقد وجدهم جميعا بشراً وليسوا شياطين

طال بحث الرسام لأكثر من أربعين عاما ،وخشى أن يموت الملك دون أن يستكمل لوحته ،فطرأت عليه فكرة الإعلان عن جائزة تُمنح لأكثر الوجوه رعباً، ولم يجد فى المتقدمين شيطاناً

ودون موعد وجد الرسام رجلا رثاً ، دميماً ، يتجرع زجاجة خمر فى حانة قذرة ، حدّثه الرسام عن طلبه فوافق دون تردد ، جلس الرسام يرسم لوحته مضيفا إلى ملامح الرجل رتوشا لتصبح صورة من الشيطان الذى يتخيله

ذات مرة...التفت الرسام إلى الشيطان أو الرجل فوجد عينيه دامعتين فاندهش وسأله عن إذا كان يريد أن يحتسى خمرا أو يحتاج مالا

فأجابه بصوت مختنق:
يا سيدى...لقد زرتنى منذ أكثر من أربعين عاما ..عندها كنتُ طفلا صغيرا واستلهمت من وجهى صورة الملاك ..وأنت اليوم تستلهم منى صورة الشيطان

وانفجر باكياً...لقد غيرتنى الأيام والليالى وقسوتهما..أصبحت شيطاناً بسبب أفعالى

تأملت القصة كثيرا وتأثرت بها...

حقاً..إن الله يخلقنا جميعا على فطرة سليمة ..أنقياء كالملائكة .. بداخلنا دعة الأطفال ..وأفئدة الطير

إن وجوهنا هى صنيعة أفعالنا ..وأفعالنا هى ابنة المجتمع والبيئة
فكيفما تكن أفعالك...ترتسم ملامحك
وكيفما يكن صنيعك .. ينطبع على وجهك

كلٌ منا لديه جانب مظلم وجانب منير
يكبر أحدهما مع الأيام..ويتقلص الآخر

قد تساعد الضغوط والظروف السيئة على نمو أحدهما ونحن نستسلم لها..فيختفى الجانب المنير
وقد تدعمنا الإرادة ..وتساعدنا الظروف فيختفى الجانب المظلم

إبليس لم يصبح شيطاناً إلا بأفعاله ..أولئك الصالحون بأفعالهم وسيماهم على وجوههم

فالأفعال تنطبع على الوجوه..والوجوه ما هى إلا مرآة للنفوس تعكس ما بداخلها

إن حرصنا على حُسن وجوهنا، فلابد أن يستقيم سلوكنا ..وأفعالنا

كما أن البيئة المحيطة بالشخص لها دور رئيسى فى البناء الفكرى والاجتماعى والإنسانى، والمبادئ قد تُقلم المُدخلات السيئة ،ونحن من نسمح بذلك أو نرفض

نعم....
إن الله قد خلقنا جميعا سواء ونحن من نربى بداخلنا الشيطان أو الملاك

ليست شبحًا ..ولا قدحًا

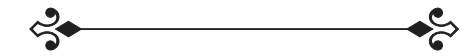

على أعتابها تنتحر الأنوثة، ويفقد الشباب عنفوانه
تضيع فرصة الاستمتاع بالحياة فى وجود شريك محب

فى ظل انتشار العنوسة بين الشباب والفتيات...هل يمكن معالجة الأمر؟ أو على الأقل من أى زاوية تتناوله؟؟

علينا أن نعترف بالأمر الواقع ونتقبله ؛ ولكن كيف نتعامل معه؟

نحن نزرع فى ذهن بناتنا أن الزواج هو الهدف والرسالة والملاذ بل.. والحياة؛ فلا حياة للفتاة دون زواج، حتى أصبحت ترتضى بزواج قد يكون هو الموت ؛ لأنه الحياة بمفهوم المجتمع البائد

فنشرع فى إعدادها منذ الطفولة بما يسمى (الجهاز)
وتظل الطفلة التى لم تبلغ بعد تحلم بفستان الزفاف ،وبالبيت السعيد ، والزوج الرومانسى ، فقد برمجنا عقلها على أن البنت ليس لها إلا الزواج، وبناءً عليه فهى زوجة وقط

تنتظر أن تكون صفة واحدة فقط .. وتنتظر من يأتى لتقوم بهذا الدور

لم نهتم بتثقيفها، لم نهتم بترسيخ مفاهيم تعتد فيها بنفسها، وقيمتها ،وتؤمن بدورها فى المجتمع ،وتسعى نحو تحقيقه

نسينا أو تناسينا أن البنت قد تكون زوجة أو لا .. فهذا قدر
وقد تكون أما وقد لا.. فهذا رزق
ولكنها حتما لابد وأن تكون فردا فى المجتمع، وفى الأمة ..وهذا مفتقد

ينبغى ألا نضع الرجل رقم (١) فى أجندتها .....لابد أن يكون هناك أولويات أخرى

ليس تهميشاً من دوره فى حياة الأنثى

فالرجل يتواجد فى حياة الأنثى أكثر من تواجد نفس جنسها فى حياتها، والعكس صحيح

فالرجل هو(الأب ،الأخ ،الزوج والابن) بالنسبة للمرأة
فى حين أن تواجد المرأة فى حياة مثيلتها يعد أقل (الأم ،الأخت والابنة)

لا أناقض الفطرة ولن نستطيع تغيير الغريزة التى خلقنا عليها الله عز وجل ؛ ولكن الواقع يفرض علينا وضعاً لن يتغير إذا رفضناه

فى حالة ارتفاع عدد الإناث عن الذكور، واحتياج الفتاة لتحقيق رغبتها فى الأمومة التعدد ليس هو الحل الجذرى ، فليس من المنطقى أن نبنى بيتاً ونهدم آخر ،ونتسبب فى إيلام زوجة أفنت شبابها من أجل أخرى ، فالتعدد لم يشرع من أجل الهدم بل البناء

فالبدائل متواجدة فهناك من يحتاج للأمومة فى دور الأيتام لمن تبحث عن العطاء وإشباع غريزة الأمومة ، ولمن تبحث عن الحب فابحثى عنه حولك وستجدين من يغدق عليك من صديقاتك وأهلك وكثير ممن يحتاجونك وتحتاجينهم
والنجاح يمكن تحقيقه فى مجالات أخرى، وشخصيتك يمكن إثباتها فى نواحٍ متعددة

والغرض ليس إلا لتقليل الضغط النفسى، ومحاولة لتقبل وضع أصبح أكثر من ظاهرة
ومحاولة لتوسيع أفق الفتاة، وتوسيع دائرة اهتماماتها

ومن المفارقات المثيرة للتأمل أن بينما ينخفض معدل الزواج يرتفع معدل الطلاق

وهذا لا يدل إلا على اختلال المعايير التى تتم على أساسها الزواج، ومن ثم تكون النتائج ليس إلا على قدر الدوافع

وكان من الأحرى فى ظل أزمة الزواج وارتفاع تكاليفه وصعوبة تنفيذه أن يتمسك كل من الطرفين بحياته، ويستميت من أجل إنجاحها فمن الصعب تكرار التجربة من جانب الفتاة، ومن الأصعب من جانب الرجل إذا وضعنا الماديات إحدى العقبات

قد يظن القارئ من الوهلة الأولى أن لا علاقة بين العنوسة والطلاق

ولكن العلاقة طردية، وارتفاع كليهما فى ازدياد

ونحن من تسببنا فى الاثنين ..

زرعنا أثناء تربية بناتنا أن الزواج هو الطريق الأول والأوحد لهن، ولم نُعلمهن وضع أسس صحيحة للاختيار، وتسببنا فى مشكلة العنوسة بغلاء المهور، وتكلف المراسم، وتعنت الأهل

فحصدنا مفهوما متجردا من سمو الأهداف، ورقى المفاهيم، ومعانى الشراكة، وأصبح الزوجان شريكين فى صفقة، وليسا شريكين فى الحياة، ورفيقين فى الدرب

فكان الحصاد عنوسة و....طلاق
هل يأتى يوماً نزرع زهورا... لنجنى عبيرا
ربما.... إذا استطعنا تغيير التربة التى ننثر فيها البذور

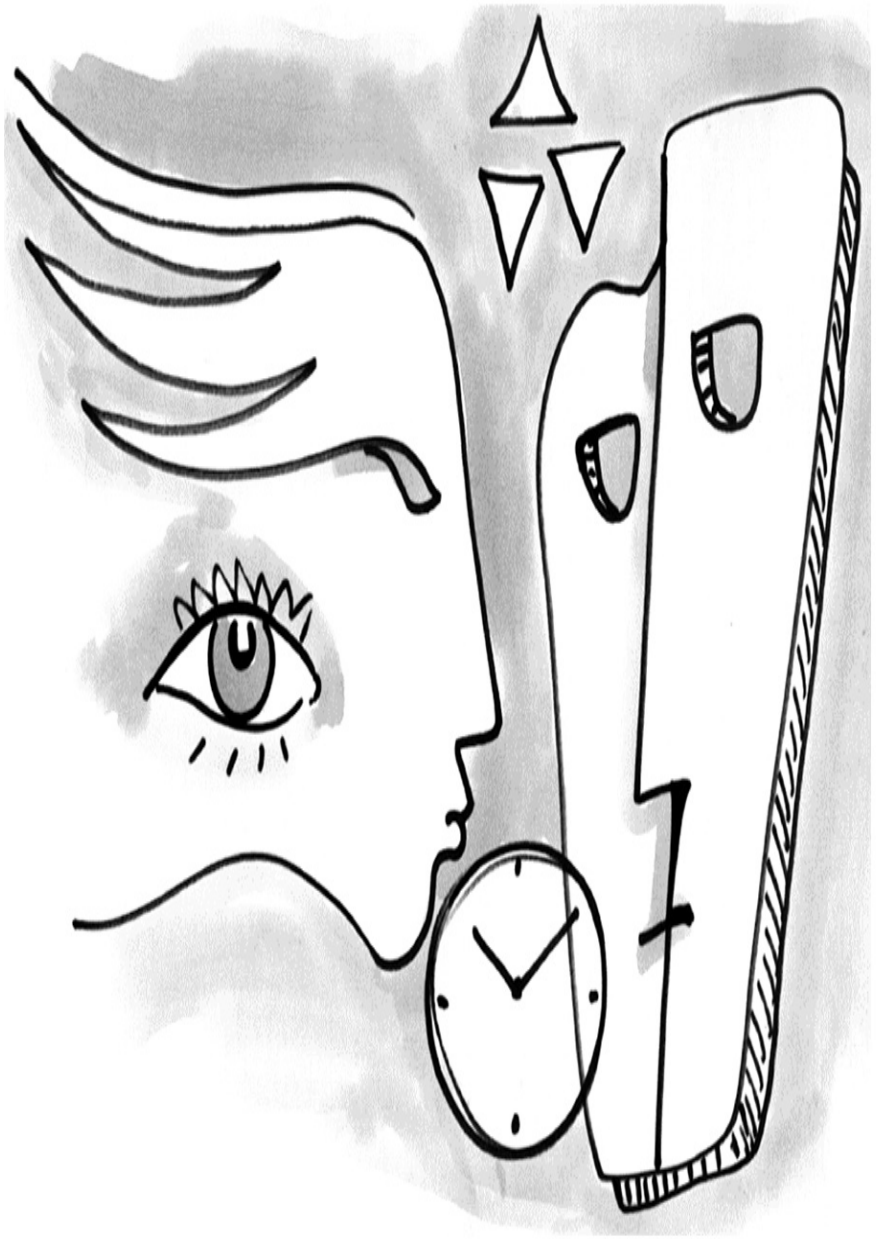

كراكيب

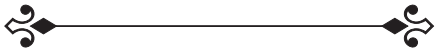

يصرخ الحاملون لهمومهم..
أيها الطبيب.. ألا يوجد عندك دواءً يشفى العلةَ والداء... فكفى من ذكريات تشجينا
أيها الزمن.. ألا تخبئ فى طياتك حكيما يداوينا من ذكرانا فلا تُدمينا

فى حياتنا أشياءٌ لا تلزمنا ولا تضيف لنا شيئا.. ونجدنا مصرين على الاحتفاظ بها

فالاحتفاظ بالأشياء عادة ربما يُرغمك عليها حب التملك

والاحتفاظ بالأحداث وسيلة ترغمك عليها ذاكرتك...
والاحتفاظ بالأشخاص سلوك يدفعك له مرجعية اجتماعية

فكم من أشياء تحتفظ بها فى بيتك أو عملك لا داع لها...
وكم من أحداث تقبع فى ذاكرتك لا تثير إلا شجوناً..
وكم من أشخاص لا جدوى من معرفتك بهم ..

كل ما فى حياتك وليس له مردود إيجابى ..لابد أن تتخلص منها

كلنا نحمل فوق قلوبنا أحمالا ثقيلة
ذكريات سيئة تلدغنا
أحزان نجترها فتوجعنا
إن ذهبنا لفراشنا تبعتنا
إن خلدنا لنومنا أرقتنا

فكما يقولون أن الذاكرة لا تستقر فى الدماغ فقط ....لكنها تسكن القلب والضمير

إنها كراكيب تتناثر فى أطراف نفسك..وتتبعثر على جوانب عقلك..وتقبع فى حنايا قلبك
إنها كراكيب تُزاحمنا مساحات الأمل؛ فتجعلنا نئن من الألم...
إنها ليست إلا كراكيب تحتاج عزما لمن يلملمها..ويدا قوية تنتشلها من أعماق النفس

تشغل حيزا فتضيق نفوسنا بها ..فلا نستقبل الجديد بتلك الأريحية إذا ماكانت نفوسنا خالية
فالذاكرة مرتبطة بالنفس ...ولا يمكن انتزاعها إلا بانتزاع نفسك
فكيف تنتزع نفوسنا التى ترتبط بها ذاكراتنا!

إننا أحيانا ما نجد أن من ذكرياتنا كانت فى يوم ما سعيدة ومع مرور الوقت باكتشافنا لأبطالها أنها لم تكن إلا خدعة فيصبح الممتع فى يوم سابق مؤلم فى يوم لاحق
ولكن عندما تحررك ذاكرتك من أسر الذكريات السيئة فأنت تستمتع بجزء كبير من حريتك

إن أفضل حل قد يكون عمليا أو واقعيا
هو أن تتجاهل كل ذكرياتك فلا تركن إليها...وتفسح مكانا لأحداث أخرى تعيشها، ولا تعيش فيك
تتنزع كراكيبك..وتلق بها فى حافلة ترحل إلى الماضى.. ولا تعد مرة أخرى فتُفسد الحاضر، وتُكدر المستقبل

مثلما تتخلص من كراكيبك المادية التى لا تحتاجها....فتسبب ضيقا ولا تستخدمها بل هى من يستخدمك..فتعهد إلى أثاث جديد تستخدمه، وتستغنى عن آخر لتترك للجديد حيزا

وجود الكراكيب لا يعطيك فرصة لتستقبل جديد

ووجود ذكرياتك السيئة لا يُمهلك وقتا ولا زمنا؛ لكى تسعد بالجديد أو حتى تستعد له

ثلاث مراحل لابد أن تمر بها ذاكرتك كل فترة

غربلة..فرز..واختزال

حين تصل لمرحلة غربلة ذاكرتك..وفرز حياتك..تترك فرصة لتلقى الجديد

عندها تدرك...

فن اختزال السعادة

الكاتبة فى سطور

مواليد الإسكندرية

ليسانس آداب قسم اللغة العربية وآدابها

دراسات عليا فى التربية

دبلوم الصحافة الإذاعية

دبلوم الإخراج الصحفى

دبلوم البرمجة اللغوية العصبية

ممارس معتمد فى البرمجة اللغوية العصبية

عضو نقابة الصحفيين الإلكترونيين

عضو الاتحاد العربى للصحافة الإلكترونية

عضو نادى الأدب بالإسكندرية

عملت محرر صحفى بأحد المواقع الإخبارية الإلكترونية

كاتبة ببعض المواقع والصحف العربية والخليجية

صدر لها كتاب
«هموم وطن... زالت ومازالت»

لها تحت الطبع :

«إطلالة» مقالات ساخرة
«الماشطة» رواية
«ضىّ القمر» مجموعة قصصية
«ثلاثيات» مجموعة قصصية قصيرة جدا

للتواصل مع الكاتبة
mob : ٠١١٤١٠٣٧٣٤٦
Reemelmasry2000@yahoo.com

الفهرس

تم بحمد الله

منشأة الشنهابى للطباعة والنشر

مرغم ك 25.5 طريق إسكندرية القاهرة الصحراوى

بحرى الطريق ش مسجد الإحسان أمام مدخل المستعمرة

فاكس : 5741677 (03) خدمة العملاء : 01001189030

E-mail: shenhapy@yahoo.com